العدد السادس
السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥٠

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات
ص
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

شعبان سنة ١٣٧٣
أبريل سنة ١٩٥٤

دروس من ذكرى الإسراء ...

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي
المراقب العام للاخوان المسلمين بسوريا

ليس من شأننا فى هذا المقال أن نتحدث عن الإسراء والمعراج من الناحية العلمية : هل وقعا يقظة كما هو رأى الجمهور ، أم مناماً كما هو رأى بعضهم ، أم وقع أحدهما وهو الإسراء يقظة ، والثانى وهو المعراج مناماً كما هو رأى آخرين ؟ وهل هما حادثة واحدة وقعا مرة واحدة ؟ أم وقعا فى فترات متعددة كما هو رأى فريق من من العلماء ؟ وليس من شأن هذا الحديث أن نقيم الدليل العقلى والعلمى على إمكان وقوع هذا الحادث العظيم ؛ فالناس فريقان : فريق يؤمن بالله ورسله فهو لا يرى مع هذه العقيدة استحالة وقوع الإسراء والمعراج ، وقد ثبتت المعجزات لجميع رسل الله السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلماذا ننكر هذه المعجزة لمحمد عليه الصلاة والسلام ؟ وفريق لا يؤمن بالله ولا بعالم الغيب وما وراء المادة ، فكل دليل لإثبات هذه الحادثة باطل فى نظره ، وكل جهد يبذل للإقناع بوقوعها عبث لا فائدة منه ،

من أخلاق النبوة

لأبي نعمان المهاجر

كان رسول الله صلى عليه وسلم المثل الأعلى فى سمو الخلق وكرم الطباع وسماحة النفس ، وكان حسْب أعدائه وخصومه أن يجلسوا معه لحظات من الزمن حتى يأسر قلوبهم بأخلاقه وسجاياه ... ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » أى كان الصورة العملية لتعاليم القرآن ومثله السامية !

ومن الذى يعجب من ذلك إذا علم أن الله سبحانه تولّى تربية هذا النبي العظيم ليكون معجزة لكافة البشر « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ، « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وهذه الآية تصور لنا ضرباً من التأديب الإلهى ؛ قال الله سبحانه وتعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا وما يُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم » .

إن معالجة المشاكل والأحقاد والخصومات بالطرق الودية الحسنة تؤثر فى الخصوم تأثيراً بالغا ، إذا لم يكن فى طباعهم شذوذ عن المزاج الإنسانى العام ، ولكن المشكلة هى : وجود القدرة على الصبر وكظم الغيظ ، فليست هذه القدرة بمتوفرة فى طباع البشر ولا شائعة فى أخلاقهم ؛ وإنما يتفرّد بها الأفذاذ والعظماء فى فترات متباعدة من التاريخ : « وما يُلَقَّاها إلاّ الذين صبروا » ولعل إيراد الصبر هنا بصيغة الماضى يشير إلى أنه لا يكسب هذه الملكة إلا من سبق له التمرين على الصبر ، وضبط النفس وكظم الغيظ ، ومرت عليه فى ذلك الحوادث والتجارب بحيث استطاع أن يكسب ملكة ضبط النفس فى مثل هذه المواقف النفسية العصيبة تجاه الخصومات والمنازعات : « وما يُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم » فإن كسب هذه الملكة النفسية النادرة يعتبر كنزاً خلقيا عظيما ، ويدل على أن صاحبه ذو شخصية قوية ، وإرادة حديدية ،

وسيطرة على العواطف لا تُغلب . ولا يتأتى ظهور هذه المزية الخلقية عند شخص مّا إلا إذا امتحنته الأقدار فى خصومه فوضعتهم فى يده ، وأمكنته من شفاء غيظه ، والانتقام لنفسه ، فترفّع بشخصيته عن ذلك وعفا وتسامح ، وعاملهم بالحسنى والصنيع الجميل . وإنما كان حظه عظيما ، لأنه أولاً : يحمل فى نفسه هذه الموهبة الخلقية الفذة ، وثانياً : لأنه من شأن من يتحلى بهذا الخلق أن يملك القلوب ، ويحل المشاكل ، ويبلغ بحكمته وأناته وتلطفه ما لا يبلغه سواه بالجنود المجندة ، والمكايد المسددة ، والتضحيات الكثيرة ، والحديد والنار .

هذا هو ما يلوح من سر هذه الآية الكريمة لأول وهلة من التأمل والتفكير ، وهذا هو معناها من الناحية النظرية ، وأما معناها من الناحية العملية المشخصة ؛ فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء إليه بقلائد من الذهب والفضة فيقسمها بين أصحابه ، فيقوم رجل من أهل البادية فيقول : يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل » فقال : « ويحك فمن يعدل عليك بعدى ! فلما ولّى قال : ردوه على رويدا » .

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب مع أعدائه ، فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال : من يمنعك منى ؟ فقال : « الله » فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : « من يمنعك منى ؟ » فقال : كن خير آخذ ! قال : « قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » فقال : لا — غير أنى لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلّى سبيله ، فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس !

ولما رجع المشركون من بدر إلى مكة وقد قتل صناديدهم وأشرافهم أقبل عمير بن وهب الجمحى حتى جلس إلى صفوان بن أمية فى الحجر ، فقال صفوان بن أمية : قبح العيش بعد قتلى بدر .

قال عمير بن وهب : أجل والله ما فى العيش بعدهم خير ، ولولا دَيْنٌ على لا أجد له قضاء ، وعيال لا أدع لهم شيئاً لرحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عينى منه ، فإنه

بلغني أنه يطوف في الأسواق ؛ ففرح صفوان بقوله وقال : يا أمية ! وهل تراك فاعلا ؟ قال : أي ورب هذه البنية

قال صفوان : فعليّ دينك ، وعيالك أسوة عيالي ، فأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشد توسعاً على عياله مني . قال عمير : قد عرفت ذلك يا أبا وهب .

فقال صفوان : فإن عيالك مع عيالي ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، ودينك عليّ ، فحمله صفوان على بعيره وجهزه ، وأجرى على عياله مثلما يجرى على عيال نفسه ، وأمر بسيف عمير فشُحذ وسُمّ ، ثم خرج إلى المدينة وقال لصفوان : اكتم على أياماً حتى أقدمها ، وخرج فلم يذكره صفوان ، وقدم عمير فنزل على باب المسجد وعقل راحلته ، وأخذ السيف فتقلده ، ثم عمد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون ، ويذكرون نعمة الله في « بدر » فرأى عميراً وعليه السيف ، ففزع عمر منه وقال لأصحابه :

دونكم الكلب هذا عمير بن وهب عدو الله الذى حرش بيننا يوم بدر ، وحَزرنا للقوم ، وصعد فينا وصوب يخبر قريشاً أنه لا عدد لنا ولا كمين .

فقاموا إليه فأخذوه ، فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هذا عمير بن وهب ، قد دخل المسجد ومعه السلاح وهو الغادر الخبيث ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أدخله عليّ ؛ فخرج عمر ، فأخذ بحمائل سيفه فقبض بيده عليها ، وأخذ بيده الأخرى قائم السيف ؛ ثم أدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : تأخر عنه يا عمر ، فلما دنا عمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنعم صباحاً . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « قد أكرمنا الله عن تحيتك ، وجعل تحيتنا السلام . فما أقدمك يا عمير ؟ »

قال : قدمت في أسيرى عندكم تفادونه ، وتقاربوننا فيه ، فإنكم العشيرة والأهل . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فما بال السيف ؟ قال : قبّحه الله من سلاح ، وهل أغنى من شيء ، إنما نسيته حين نزلت وهو في رقبتي ، ولعمرى إن لي لهمًّا غيره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصدق يا عمير ما الذى أقدمك ؟ فقال : ما قدمت إلا في أسيرى .

قال صلى الله عليه وسلم : ما شرطت لصفوان فى الحجر ؟ ففزع عمير ، وقال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحملت بقتلى على أن يقضى دينك ويعول عيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك .

قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وأنك صادق ، وأشهد أن لا إله إلا الله . كنا يارسول الله نكذبك بالوحى ، وبما يأتيك من السماء ، وإن هذا الحديث كان بينى وبين صفوان كما قلت لم يطلع عليه غيرى وغيره ، وقد أمرته أن يكتمه فأطلعك الله عليه ؛ فآمنت بالله ورسوله ، وشهدت أن ما جئت به حق ، والحمد لله الذى ساقنى هذا المساق .

وفرح المسلمون حين هداه الله إلى الإسلام ، وقال عمر بن الخطاب : لخنزير كان أحب إلى منه حين طلع ، وهو الساعة أحب إلى من بعض أولادى ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « علموا أخاكم القرآن ، وأطلقوا أسيره » فقال عمير : يا رسول الله إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله فله الحمد أن هدانى ؛ فائذن لى فألحق قريشاً فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، فلعل الله يهديهم ويستنقذهم من الهلكة .

الحـــق

أرى الحق لم يغشَ البلاد وإنما   مشى ضارباً فى الأرض تلفظه الطرق
ومن عجب أن الورى يدَّعونه   وهم من قديم الدهر أعداؤه الزرق
أعدوا له فى البر والبحر قـوة   إذا ظهرت ينسد من دونها الأفق
وطاروا بطياراتهم يمطـرونه   قذائف من نار كما أمطر الودق

« معروف الرصافى »

الجهاد

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

جهاد النفس

١ – « الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة » هذا نص الحديث النبوى الشريف ، وهو شعار الإسلام ؛ فالمسلم الحق فى جهاد مستمر دائم . وليس الجهاد هو الضرب حاملا السيف على عاتقه فقط ؛ بل إن هذا إحدى شعبه وأظهرها وأبرزها ، وإن لم تكن أقواها أثرا ، وأشدها فعلا ، فله شعب أخرى ، تسبق القتال وتلحقه ، بيّنها قول النبى صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأنفسكم وألسنتكم وأموالكم » فهذه شعب ثلاث للجهاد : جهاد بالنفس ، وجهاد باللسان ، وهو الذى أشار إليه الكتاب الكريم فى قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » والجهاد الثالث هو الجهاد بالمال ، بتقوية الجماعة ، ومدّ الضعفاء والموزين ، فقد قال عليه السلام : « ابغونى فى ضعفائكم ، فإنما تُنصرون وترزقون بضعفائكم » ومن الجهاد بالمال إمداد الذين يحملون السيوف بالعتاد ، وما يحتاجون إليه ، فالمال عصب القوة فى الحروب ، كما هو عصب الأمة فى السلم ؛ ولذلك قال الله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين ، وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » فقرن الله تعالى الأمر برد الاعتداء بالأمر بالإنفاق ، لأنهما متلازمان : الأول جود بالنفس ، والثانى جود بالنفيس .

٢ – وإن كل شعبة من هذه الشعب لها فروع تمتد حتى تستولى على أحوال المسلمين جميعاً فى خاصة أنفسهم وفى عموم شئونهم ، وجميع أمورهم . وإذا كان المؤمن حقاً هو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : « أن يحب الشىء لا يحبه إلا لله »

فإنه بهذه المحبة التي يبتغيها ويتقصّاها في عامة أموره يكون في جهاد مستمر ، يبتدئ بجهاد النفس ، فيقوّي عزيمته ، ويُخلص نيته ، ويتجه إلى ربه اتجاهاً مستقيماً لا تشوبه شائبة من غَرَض أو هوًى ، لا يعمل عملا إلا قصد به وجهه الكريم ، إذ أن تخليص النفس من أدران الهوى وقدْعَها عن نوازع الشهوات المردية فيه جهاد هو أقوى أنواع الجهاد ؛ لأنه فطم النفس وضبطها ، وذلك يحتاج إلى صبر ومصابرة ، واستحضار عزيمة وتقوية إرادة ، ولذا كان يسميه الصحابة الأولون الجهاد الأكبر ؛ فقد روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال عقب رجوعه من إحدى الغزوات : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » فسمى رضى الله عنه لقاء الأعداء ، واشتجار السيوف ، واستقبال الحتوف – جهاداً أصغر ، وسمى تهذيب النفس وتربية الوجدان وتقوية الإرادة ، وسيطرتها على الهوى ، وجعْل الشهوات أَمَةً ذلولا طائعة للإرادة الدينية القوية – سمى ذلك جهاداً أكبر .

٣ – وإن اعتبار جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، له مغزاه ومعناه ، لأنه الأساس لكل جهاد يقبله الله تعالى ، ويعتبر به الشخص مجاهداً ؛ فمن حارب لدنيا يصيبها ، أو لمال يبتغيه ، أو لسلطان يرجيه ، أو لفخار وذكر تسير به الركبان – لا يسمى مجاهداً في الإسلام ؛ إنما المجاهد حقا وصدقا هو من حارب محتسبا النية ، مبتغيا رضوان الله . وكل قتال حث عليه الإسلام اقترن بكلمة في سبيل الله ؛ فالله سبحانه وتعالى يقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ولم يعتبر الشهداء إلا الذين قُتلوا في سبيل الله فقال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » وقال تعالى : « ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات ، بل أحياء ، ولكن لا تشعرون » .

ولا يكون الشخص مقاتلا في سبيل الله ، أو مقتولا في سبيل الله ، إلا إذا احتسب النية لله رب العالمين ، وخلّص النفس من كل أدران الهوى ، ولم يرد الاستطالة على الناس بسيفه ، مُدلاً بشجاعته ، مغتراً بفروسيته ، مستطيلا على الناس بقوته .

وإنه لهذا المعنى الجليل الذي يلاحظ في المقاتلين ، دعاء القرآن إلى الصبر والمصابرة ،

قبل القتال والمرابطة فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

٤ — إن الصبر هو عدة القتال وذخيرته النفسية ، ولا تجدى ذخيرة مع العتاد والسلاح إلا إذا كانت مؤزرة بذخيرة من القلوب ، ونفوس تؤثر الباقية على الفانية ، ولذا أشار تعالى فى بيان قوة المسلمين الأولين التى يغالبون بها المشركين إلى أن الصبر أساسها ، وأنه يغنى عن العدد ؛ فقال تعالى : « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون . الآن خفف عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » .

وترى أن هذا الصبر فى عشرين أقوياء ، يجعلهم أقوى من مائتين لم تتهذب نفوسهم وغلبت شهواتهم ، وأن الصبر فيمن أصابهم ضعف لشيخوخة أو نحوها يجعل المائة أقوى من مائتين ، فالصبر أساس الغلب ؛ ولذا كان دعاء المؤمنين الصادقين عند القتال دائما : « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

وإن القتال هو صبر ساعة كما ورد فى الأثر ، فإن كان الصبر عند الصدمة الأولى تحطمت صخرة الاعتداء ، وفلت شوكة الهجوم ، ولذا قال عليه السلام : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

٥ — وإن الصبر لا يمكن أن يكون إلا فى نفس قد قوى فيها الإيمان بالحق ، وسيطر عليها حب الله ، والفناء فى ذات الله تعالى ؛ فالشهوات والصبر نقيضان لايجتمعان ، فذو الهوى ملول ، وذو الإيمان صبور ، وذو العزيمة القوية يستطيع كبح جماح نفسه فى ميدان القتال ، فيستطيع أن يقول لها : « مكانك تحمدى أوتستريحى » يستطيع ذلك فى ميدان القتال ، والأرواح تختطف ، والأعناق تتمايل ، والرءوس تتساقط . وإن الإرادة القوية التى تتولد من إيمان قوى هى القوة التى تمد الشجاع بالصبر ؛ والصبر عدة القتال ، كما قرر القرآن .

٦ — وإن التاريخ فى قديمه وحديثه ليسجل أن الإرادات هى التى تحارب ، وأنها وراء النفوس تقاتل وتنازل ؛ فالمعارك التى تقوم ويشتد أوارها ، هى معارك نفوس قبل أن تكون معارك أسلحة .

لقد انهزم الفرس والروم أمام جيوش المسلمين ومعهم الذخيرة والعتاد ، والفروسية والنظام ، والمجد والسلطان ؛ ولكن لم يكن بين الجُنُوب قلوبٌ قوية ونفوس مؤمنة ، وقد التقوا بأولئك العرب الذين يحملون القرآن مع سيوفهم ، وقد انبثق نور الهداية من قلوبهم ، وأشرق فى وجوههم ، وعلموا أن القتال لا ينتهى إلا بإحدى الحسنيين : إما الاستشهاد ، وإما إعلاء كلمة الله تعالى ، ولذلك انتصروا وانهزم الفرس والروم ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً ؛ وإن هرقل عظيم الروم عند ما رأى جموع المؤمنين مقبلة على الشام ، ورأى نور الإيمان فى قلوبهم ، وآثاره فى ضرباتهم ، وقف على نشز من الأرض ، وقال : « سلام عليك يا سوريا ، سلام لا لقاء بعده » ذلك لأنه رأى جيوشاً زادُها التقوى ، وعتادها الإيمان ، ونظامها الصبر ، وهو الأريب الحصيف ، فعلم أنها لا تُغلب .

٧ — ولقد كان كل الذين لاقوا المؤمنين يهابون منهم قوة الإيمان ، وعزيمة النفوس ، وصدْق الإخلاص ، والنيات التى تغنى عن كثرة العدد ، حتى إنهم عند ما غزوا جنوب أوروبا قال ملكهم ، وقد رآهم ينسابون فى بلاده ، والنور يسير معهم ، قال لقومه : « الرأى عندى ألاّ تعترضوهم فى خرجتهم هذه ، فإنهم كالسيل يحمل من يصادره ، وهم فى إقبال أمرهم ، ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد ، وقلوب تغنى عن حصانة الدروع ، ولكن أمهلوهم حتى تمتلىء أيديهم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا فى الرياسة ، ويستعين بعضهم على بعض ، فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر » .

وقد كان الأمر كذلك ، فإنه بعد أن استقر المسلمون فى الأندلس ، واستناموا إلى الراحة فيها ، وغلبت عليهم شهواتهم ، فقدوا الجهاد الأكبر ، إذ فقدوا جهاد النفس فتحكمت الأهواء ، وفقدوا البأس ، وضبْط النفس ، وقوة الشكيمة ، ثم كان ما كان ، فقد ذهبت الأندلس — فردوس الإسلام فى الأرض — فريسة الهوى والشهوات .

٨ — ولقد ابتدأنا بهذا النوع من الجهاد ؛ لأنه الأساس لكل جهاد ، فهو

الأساس لجهاد الجيوش ، وهو الأساس لجهاد الألسنة ، وهو الأساس لجهاد المال بالإنفاق فى سبيل الله ، فما لم يستول المرء على نفسه ، ويعصمها بالضبط والاستيلاء على أهوائها ومنازعها ، ولم يكن عبداً للنفس الأمارة بالسوء — لا يكون جهاد قط .

ولأن المؤمنين اليوم ، كما كانوا بالأمس ، فى حاجة إلى مجاهدة النفس وضبطها ، والاعتصام بالإيمان القوى ، فإن الله سبحانه وتعالى قد بين فى محكم آياته أن الله يختبر أهل الإيمان بالشدائد ، فقد قال تعالى : « ولنبلونـكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون » . وقال تعالى : « لَتُبْلَوُنَّ فى أموالـكم وأنفسكم ولتسمَعُنَّ من الذين أوتوا الـكتاب من قبلـكم ، ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

ففى هذه الآية وما سبقها ذكر لما يختبر به المؤمنين ، وبيان للدرع الحصين الذى يدرعون به فى هذا البلاء وذلك الاختبار ، فقد ذكر أنه الصبر وجهاد النفس ، ولذا بشر الصابرين فى الآية الأولى ، وذكر فى الآية الثانية أن عزم الأمور وإمضاءها والجهاد لتغيير الحال الفاسد وتبديلها ، هو بالصبر والتقوى ، وجهاد النفس من الأهواء .

٩ — إننا معشر المسلمين فى هذه الأيام توزعتنا الأرض ، وصرنا نهباً مقسوماً لـكل طامع ، فقد أرادوا بنا السوء ورامونا بالأذى ، ولا منجاة لنا إلا بالجهاد ، ولنبتدئ بأقواه وأشده ، وهو جهاد أنفسنا ، ولا نيئس من روح الله إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الـكافرون . إن القرآن أنذرنا بالضراء والبأساء والشدائد ، وبشرنا بالنصر عند الصبر ، وبالفوز عند الجهاد ، إن أخذنا له الأهبة وأعددنا له العدة ؛ ولقد قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتـكم مثل الذين خلَوْا من قبلـكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب » .

ولقد أصابتنا البأساء ، ولـكن لم تصبنا إلا بعد أن ضعفت العزائم ، ووهنت القوى ، وتحكمت الشهوات ، وغلبت الشقوة ، وأصابتنا الضراء ؛ فأصبحت الفاقة والمرض مظهرنا وعنواننا ، وزُلزلنا فى أوطاننا ، وأُخرجنا من ديارنا وأبنائنا ، أخرجنا حساً ، وأخرجنا معنى؛ فهؤلاء أولادنا مشردون فى الأرض لا بلاد تؤويهم ، ولا معاذ

لهم إلا ما كان من الله العلى القدير ، وها نحن أولاء لا نملك لأنفسنا أمراً فى بلادنا ، ولا نملك فى شئون أولادنا شيئاً ، فهم يقلدون الفرنجة ويأخذون من أخلاقهم أدناها ، ولا يأخذون من علومهم أعلاها ؛ وبذلك خرجنا من ديارنا وأولادنا ، وغُلبنا على أمورنا .

١٠ — أيها المسلمون : الجهاد باب من أبواب الجنة ، وهو مفتوح لـكل مسلم ، يغلقه فى نفسه إن شاء ، ويفتحه فى قلبه إن أراد وصمم وعزم ، ولقد غلبنا فى أمرنا ؛ وكان أول طريق لانهزامنا ، أن تجافت أعمالنا عن حقيقة الإسلام ، وغلبتنا أهواؤنا ، ثم ضعفت ألسنتنا عن النطق بالحق ، وذهب بأسنا ، فـكلّت السواعد عن احتمال السيوف ، فـكان الأمر إلى أعداء الإسلام وأعدائنا ؛ فإذا أردنا أن نهيئ للإسلام مكاناً عزيزاً فى هذه الأرض التى ظهر فيها الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ؛ فعلينا أولاً أن نتجه إلى قلوبنا فنصلحها ، ونقوى العزائم ، ونشد الأواصر ونجمع الكلمة ، ونوثق الوحدة ، ونستنكر المنكر ونأمر بالمعروف ؛ وعندئذ نستطيع أن نفتح باب الجهاد بإخراج الأعداء من الديار الإسلامية .

لقد زلزلنا فى كل بلادنا : ففى شمال إفريقية ما ترون ، وفى مشارق الأرض الإسلامية ما نعلم وما لا نعلم ، وإن كل ذلك كان من شهوات الولاة والأمراء ، وغفلة الشعب وضعفه ، فهل لنا أن نعمل ونأخذ فى الأسباب ، وعندئذ نقول : « متى نصر الله ؟ » فيـكون الجواب بلسان الفعال ، وبوحى الأعمال : « ألا إن نصر الله قريب »

وإن أول أسباب العمل تغليب الدين على الهوى ، وتقوية العزائم ، وضبط النفس والصبر ، ثم التواصى بالحق ، والتناهى عن الظلم والمنكر ، وجمع الـكلمة ؛ فإن هذا أول باب الجهاد ، وله بعد ذلك أبواب سنفتحها إن شاء الله ، ولنختم هذه الـكلمة بقول سيف الله المسلول على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقد قال وهو أعلم الناس بالجهاد : « ما أعمال البر كلها والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر إلا كنفثة فى بحر لجى ، وإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر لا يُقرِّبان من أجل ، ولا ينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كله كلمة حق عند إمام جائر » .

أصلح الله قلوبنا ، وجمع على الحق كلمتنا ، وأذهب غوائل الحقد من بيننا ، واستل من نفوسنا أضغانها ، وهدانا إلى سواء السبيل .

خاطرة :

جويرية بنت الحارث

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ، ومعه جويرية بنت الحارث (وكانت فيمن أسر) ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيّبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يامحمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ! فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحَسُنَ إسلامها ؛ فخطبها رسول الله إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

تقول عائشة رضى الله عنها :

« وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار . فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم (من الأسرى) . فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها » .

***

ألست تجد فى هذه الصفحة من السيرة الكريمة من جلال النبوة التى عاشت تنظر فى الناس بعين قاهرة تنتهك دونها كل الحجب ؟

أولست ترى فيها كذلك رداً سهلاً قريباً على تساؤل من تساءل عن الحكمة وراء تعدد زوجات النبى ؟

ألا ماأروع عالم الغيب ، وماأقدس رحاب النبوة ! !

الانحراف عن العقيدة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

العقيدة ألوان وضروب عديدة ، وهى تختلف باختلاف موضوعها ، إلا أنها على كل حال أمر نفسى يمتلىء به القلب ويسيطر على النفس حتى لا تتحرك إلا بها وعنها . ومن ثم ، لن تكون العقيدة عقيدة كاملة ، ولن يكون الإنسان صاحب عقيدة حقا ، إلا إن كانت أعماله وحركاته وسائر ضروب نشاطه صادرة عن هذه العقيدة ، ومعبرة تماما عنها .

والمؤمن بالله بخير ما صحت عقيدته فيه ، وصح إيمانه به ؛ فأسلم وجهه لله وهو محسن . إنه حينئذ يراه مالك الأمر كله ، وبيده ملكوت السموات والأرض ، وهو وحده الذى يقدر على النفع والضر ، والإعطاء والمنع ، وليس أحد — مهما كان سلطانه وجبروته — بشىء بجانبه ، وليس يحصل ما يحصل إلا بقضائه وقدره . وإنه حينئذ لا يرجو غيره ولا يخاف سواه ، ولا يقدم شيئاً من شعائر العبودية وسماتها إلا له وحده جَلَّ جلاله ، ويثق بنصره وعونه وتأييده ما دام على الجادة والطريق المستقيم .

هذه بعض معالم صدق العقيدة فى الله وحده ، وهى محك المؤمن الحق ، وبها يتميز عن غيره من مدعى الإيمان وصدق العقيدة بينما هو منحرف عنها انحرافاً كثيرا أو قليلا ، وهذا الانحراف يظهر لنا واضحاً ملموساً فى مسافة الخلف بين القول والعمل ؛ وما أكثر مظاهر هذا الانحراف التى نحسها آسفين ، والتى جعلتنا على ما نحن عليه من حال محزن أليم !

لنسمع إلى قوله تعالى فى سورة النور : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

ولنسمع بعد هذا إلى قوله تعالى فى سورة أخرى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » وقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، وقوله : « وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، وقوله : « ومن أوفى بعهده من الله » ! وقوله : « ومن أصدق من الله حديثا » .

هذه آيات كريمات نعرفها جميعاً ، ونسمعها تتلى علينا كثيرا ، وكم ذكرها الكاتبون فيما يكتبون هنا وهناك ! ولكننا نقول ، فى غير مبالغة ، إن قلة منا هى التى تؤمن بها وبما جاءت به الإيمان الحق ، نعنى إيماناً يقارب إيمان رجالات الإسلام الأوائل رضوان الله عليهم أجمعين .

إن الله ، جلت قدرته وعظمت رحمته ، لم يطلب منا إزاء ما وعدنا به من نصر واستخلاف فى الأرض إلا أن نؤمن به وحده ولا نشرك به شيئاً ؛ أى لم يشترط علينا ، فى مقابل أن يمنحنا عز الدنيا والآخرة ، إلا أن نكون على عقيدة نقية خالصة صادقة ، وإلا أن تكون أعمالنا وفق هذه العقيدة ، فماذا كان منا أفراداً وجماعات ودولاً ؟ .

كان منا ، من يقدّم لغيره من العبيد أمثاله الذين لا يستطيعون لأنفسهم نفعا ولا ضراً ، كثيراً من ألوان العبودية ، ممثلة فى رجائه وخوفه وتملق كبريائه ، وذلك لأن بيده شيئاً من السلطان ، متناسيا — حين يفعل هذا — رب الأرباب ومالك الملوك ومن بيده نواصى الناس جميعاً ومقاليد الأرزاق ! ولم يتورع عن هذا ومثله ، كثير ممن تفرض عليهم ثقافتهم الدينية ومراكزهم الروحية أن يكونوا للناس قدًى فاضلة ومثلا عليا فى عرفان حق الله وحق العبد !

وكان من آثار ضعف الثقة بالله والانحراف عن العقيدة الحقة ، أن خسرت الدول العربية معركة فلسطين ، وخسرتها أمام من ؟ أمام شراذم من شذاذ الآفاق

حقا ، إلا أنهم دخلوا المعركة مؤمنين كل الإيمان بقضيتهم ، بعد أن مهدوا لها كل وسائل النصر ، وصمموا على الموت أو يبلغون ما يريدون .

أما نحن العرب ، فقد آمنا بأمريكا ووعودها ، وبهيئة الأمم المتحدة ومنظماتها ، أكثر مما آمنا بقضيتنا ؛ كما نال منا الخوف من اليهود ومَن مالأهم من الدول الغربية ، بعد أن فقدنا الثقة بنصر الله يؤتيه من يشاء من عباده ، ومن آمن به وعمل له عدته !

أما نحن ، فلا زلنا حتى اليوم نخاف الغرب ونؤمن بعظمته ووعوده ، وفينا من يُخَذِّل من يدعو إلى الجهاد والاستشهاد فى سبيل فلسطين أو غيرها من قضايانا الوطنية ، ويرى من الحزم أن يبصرنا بضعفنا أمام ما يملك الخصم من عتاد وممدات الموت والدمار ؛ كأن الله أصبح لا وجود له ، وكأنه لن يحقق للمؤمنين ما وعدهم به من النصر ، أو كأنه — جل وعلا — لا يستطيع لهؤلاء الأعداء رداً !

لنترك هذه الصورة المخزية التى تقذى منها النفس ويألم لها القلب ، إلى صورة أخرى مشرقة تنبض بالقوة والعزة اللتين أساسهما الإيمان بالله وقوته ووعده : نعنى الصورة التى كان عليها المسلمون بعد غزوة أحد وقد نال منهم الجهد وأثخنتهم الجراح ، ولكن بقى لهم الإيمان بالله والثقة به ، فاستجابوا للرسول حين دعاهم للخروج معسكرين خارج المدينة لئلا تطمع فيهم قريش ، ولم يسمعوا لقول من أرادوا تخويفهم بمن اجتمعوا لهم من الأعداء .

وذلك كله ، إذ يقصه الله علينا بقوله تعالى فى سورة آل عمران : « يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

يا قوم ! إن هؤلاء المؤمنين حقا لم يقولوا حينذاك إلا : « حسبنا الله ونعم

الوكيل » ، فكان أن انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . أليس الله لا يزال موجوداً ! أليس الله بكاف عبده ! أليس الله يقول فى محكم كتابه : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » !

بلى ، كل ذلك صحيح ، ولكننا انحرفنا كثيراً عن العقيدة الحقة فى الله ، حتى لنخاف أن يكون الكثير منا على غير الإيمان اليوم ! وقد نخاف أن يكون فينا من يقول : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » ، كما قال من قبل المنافقون والذين فى قلوبهم مرض !

ولكن هؤلاء المنافقين كان بجانبهم المؤمنون الذين قالوا عند ما رأوا الأحزاب جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم : « هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله » ، وما زادهم ما ابتلوا به إلا إيماناً بالله وتسليماً له . فأين منا مؤمنون كهؤلاء ، أو يقاربون هؤلاء الذين فتحوا العالم كله بقوة الإيمان بالله وحده !

هذا ، وليس خطر الانحراف عن العقيدة الدينية بخاصة بالذى يقف عند حد ، بل إنه ليزيد ويستفحل ويتشعب حتى تفسد معه الحياة ، حياة الفرد أو المجتمع على السواء ؛ فإن العقيدة المستقيمة الصحيحة للإنسان كالبوصلة أو نجمة القطب تهديه سواء السبيل فى سيره فى هذه الحياة ، فإذا انحرف عنها وسار على غير هداها ، ضل الطريق ، وصار فى عماية من أمره قد يتعسر عليه النجاة منها .

إن هذه العقيدة الدينية تتطلب من الإنسان أن يخاف الله ويخشاه ، يخافه فى السر والعلن ، ويخشاه فى كل ما يأتى ويذر ؛ فتراه يعمل الخير وإن لم ينتظر عليه ثوابا من أحد ، وينتهى عن الشر وإن غفلت عنه أعين الرقباء من رجال الشرطة أو البوليس أو القضاء ، وهذا لأنه لا يَنظر إلا لله وحده .

وهو لذلك مواطن صالح ، ورجل خير فى عامة أمره وسائر أحواله ، سواء أكان فى داره ، أم فى مصنعه أو محل تجارته ، أم كان فى ديوان وظيفته . وهو لذلك يعطى الحق من نفسه ، ولايجرمنَّه شنآن قوم على ألا يعدل بينهم ، ولا تبطره سراء أو تيئسه ضراء ، وهو يقف فى وجه الظلام مهما كان عنفوانه وسلطانه .

أما الآخرون ، وما أكثرهم ! فنراهم على العكس من هذا كله . إنهم ، وقد ساءت عقيدتهم ، ضلوا الطريق ، وحبطت أعمالهم فهم لا يحسنون ، صنعا ، وهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، ويخافون هؤلاء الناس أكثر بكثير مما يخافون الذى يعلم السر وأخفى ، وهم فى هم ناصب وألم مقيم إن غضب عليهم الرئيس ، كأنه هو كل شيء فى حاضرهم وآجلهم ، ودنياهم وآخرتهم .

وهم مع ذلك كله ، ينأون عن إخوان الخير الذين استقامت عقائدهم وضمائرهم ، ويحبون صحبة أمثالهم الذين يزينون لهم طريقتهم فى الحياة ، وبهذا يزدادون غياً وإثماً وضلالاً ، وتزداد بهم أمتهم شرا وفساداً وخساراً .

ونحن ، معشر العرب والمسلمين ، نقاسى الكثير فى هذه الأيام ، ونعانى فى حياتنا الداخلية والخارجية ، على السواء ، كثيراً من المصاعب ، وعلينا أن نعمل للخلاص من هذا كله بكل سبيل . ولكنى أعتقد أن أول ما يجب علينا فى هذه الناحية هو أن نفحص عن أسباب الداء لنستأصلها ، بدل أن نعالج من الداء ظواهره وأعراضه فحسب .

وهذه الأسباب لا نبالغ إذا قررنا أنها ترجع فى مجموعها إلى تصحيح عقيدتنا فى الله ، والرجوع إلى الدين الحق والخلق الصحيح ؛ فالعقيدة الصحيحة هى ملاك الأمر كله ، فإذا انحرفنا عنها كان منها من الخطر ما قصصنا بعضه ، وما يجىء بعد ذلك فى كلمات أخرى ، إن شاء الله تعالى ، فى الناحية القومية أو الاجتماعية أو السياسية على السواء .

المال الحقيقى

ألا إنما مالى الذى أنا منفقٌ   وليس لى المالُ الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مالٍ فبادر به الذى   يحقُّ وإلا استهلكته مهالكه

« أبو العتاهية »

ما هو الإسلام؟

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق السورية

١ — يقول علماء المسلمين فى وصف الإسلام وتعريفه : الإسلام هو دين الفطرة .

ومعنى الفطرة ، الطبيعة البشرية السليمة التى يقودها عقل حكيم إلى أحكم نظام اجتماعى ، تتلاقى فيه حاجات العقل والجسم والروح ، ويكفل للإنسان حياة عملية راقية صالحة يصان فيها الفرد والمجتمع بصورة عملية لا خيالية ؛ فهو يهذب غرائز الإنسان دون أن يصادمها .

ومعنى ذلك أن الإنسان الذى يتمتع بطبيعة معتدلة وعقل سليم لو نشأ بعيداً عن المؤثرات الخارجية التى تفسد تفكيره وعاداته ، لو أراد أن يضع نظاماً يصون حياة الفرد والمجتمع على أكمل وجه عملى ، لوصل بعد التجارب إلى أسس مثل الأسس التى جاء بها الإسلام .

والمهم هنا البحث عن الأسس دون التفاصيل .

فالإسلام — كما يعلن القرآن الذى هو دستوره الأساسى وكتابه الموحَى به إلى رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم — هو شريعة الله الأخيرة التى جاءت تعترف وتقرر ما جاء به رسل الله تعالى من قبل . ويكمل المراحل الأصلية التى بدأتها تلك الرسالات الإلهية السابقة . فالإسلام يحتضن جميع الديانات السماوية السابقة ، وهو الطريق العام الذى تلتقى فيه خطوطها الأصيلة فيأخذ الإسلام بأطرافها ويمدها فتجد فيه امتدادها إلى النهاية .

الأسس الإسلامية

١ — الأساس العقلى فى الإسلام :

إن أساس كل إصلاح بشرى فى نظر الإسلام هو أن يعرف الإنسان وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته معرفة عقلية صحيحة ، ويعتقد بها وباليوم الآخر الذى يجمع الله فيه الناس للثواب والعقاب فى حياة ثانية أبدية ؛ وذلك لكى يشعر الإنسان بمسئولية أخيرة أمام سلطة عليا ، فيكون كل فرد على نفسه حسيباً رقيبا .

وقد أتى الإسلام فى هذا الشأن بعقيدة تجمع بين البساطة والوضوح ، خالية من كل تعقيد ، ويفهمها العالم والجاهل بدليل يقوم على التفكير العقلى والمشاهدة .

فقرر أن الكون فيه دلائل الحدوث والتكون بعد العدم ، فلا بد له من موجد وهو الله تعالى لأن الأثر يدخل عقلا على المؤثر .

ومن الكون نفسه تُستنتج صفات الخالق الذى أوجده : فالكون عظيم يحتاج إيجاده إلى قدرة ، فيدل على أن الله قدير . والكون فيه نظام طبيعى محكم ، فيدل على أن خالقه عليم حكيم . وهكذا . . .

والعقيدة بالله تستلزم العقيدة باليوم الآخر ، وإلا كانت أوامر الله عبثا لا مؤيد لها ؛ وفى ذلك يقول القرآن : «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون؟» .

هذه هى عقيدة الإسلام فى ذات الله تعالى وصفاته واليوم الآخر . وقد نزه القرآن الله الخالق عن كل شبه بالمخلوقات ؛ فالله ليس من البشر ، وليس كمثله شىء ، ولم يلد ولم يولد .

وقبل ذلك اشتبه على الناس المخلوق بالخالق ، وعبدوا الأوثان التى يصنعونها بأيديهم . وهكذا اشتد القرآن فى محاربة الوثنية وعدها انحطاطاً فى العقل البشرى الذى يجب أن يترفع عن السخافات والأوهام والأباطيل .

ومن جهة أخرى كان قبل الإسلام رؤساء الأديان قد نصبوا أنفسهم وسطاء بين الله والناس ، واستغلوا عقول الأتباع لكى يضمنوا لأنفسهم النفوذ والسيطرة

والمنفعة باسم الدين ، وجعلوا الدين أسراراً وطلاسم معقدة كى لا يفهمه الناس إلا من طريقهم .

لذلك حرر الإسلام العقل البشرى من هذه الناحية أيضاً ، فقرر وأعلن أن لا وساطة لأحد بين الله والناس ؛ فليس فى الإسلام سلطة دينية لفرد أو لطبقة من الناس : أى ليس فى الإسلام طبقة رجال دين يحتكرون لأنفسهم سلطة يمارسونها هم دون سواهم ، ويتحكمون فيها بمصير الناس عند ربهم ؛ وإنما فى الإسلام ، بل الإسلام دستور مكتوب معلن يتضمن عقيدة عقلية ، ومبادىء تشريعية قانونية ، وتوجيهات أخلاقية ، فكل من اعتنقه وتعلمه وطبقه كان مقبولاً عند ربه دون توقف على إرادة أحد . حتى أن النبى عليه السلام فى شريعة الإسلام التى جاء بها ليس له سلطة دينية يتحكم فيها بمصير أحد عند ربه ، بل هو بمقتضى نصوص القرآن الذى أوحاه الله إليه تنحصر مهمته الدينية فى التبليغ ، وسلطته الزمنية فى التنفيذ .

وفى ذلك يقول القرآن خطابا للنبى نفسه : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، « إنما عليك البلاغ » ، « ليس لك من الأمر شىء » ، « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن أساء فعليها » ، « إن الله هو يقبل التوبة عن عباده » . ويقول النبى لابنته فاطمة : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئاً » .

وبذلك تكفل الإسلام بتحرير العقل البشرى من أن يستغله أحد باسم الدين ، وكل من كان أعلم بالشريعة عليه أن يعلم الأجهل ، دون أن يكون له سلطة عليه ، بل كلاهما فى المسئولية أمام الله سواء .

٢ — الأساس العلمى :

وبما أن العلم أساس الإصلاح وأساس عمران الكون على أحسن وجه ، جاءت نصوص القرآن وأحاديث الرسول تحض على العلم وترفع شأن العلماء ؛ وفى ذلك يقول القرآن : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » سواء فى ذلك علم الشريعة أو القوانين الطبيعية ، وكل ما يفيد الإنسان .

ولأول مرة فى التاريخ البشرى جعل النبى فدية أسرى المشركين الذين يعرفون

القراءة والكتابة تعليم الأميين من المسلمين ، ولأول مرة فى التاريخ أوجب النبي على علماء صحابته أن يعلموا الجهال وأوجب على الجهال أن يتعلموا منهم ، وأمهل الفريقين سنة وأنذرهم بأن من لم يعلم أو من لم يتعلم يعتبر مجرما اجتماعيا يستحق العقوبة فى الدنيا ، عدا عقوبته عند الله فى الآخرة .

وإلى هذا المبدأ الجليل يرجع الفضل فى النهضة العلمية الإسلامية ، حيث كانت العلوم الشرعية والطبيعية تمشى جنباً إلى جنب مع انتشار الإسلام فى عصوره الأولى الزاهرة ، قبل أن يستولى الكسل والجمود على المسلمين .

٣ — أساس العبادة :

وقد أوجب الإسلام لأجل حفظ صلة الإنسان بربه وتهذيب روحه عبادات متعددة : منها الصلاة والصيام . . ومن شرائط الصلاة النظافة ، فلذلك أوجب قبل الصلاة غسل أطراف البدن ، والوجه ، وفى بعض الحالات أوجب للصلاة غسلا تاماً للبدن كله ؛ فاعتبر تطهير الظاهر كتطهير الباطن من العبادات .

ولم يقصر معنى العبادة على أعمال الصلاة ونحوها ، بل اعتبر أيضاً أن كل عمل نافع يعمله الإنسان امتثالاً لأمر الله يكون عبادة ، حتى إماطة الأذى عن طريق الناس .

٤ — الأساس الاجتماعى :

جاء الإسلام والناس يسودهم نظام الطبقات ، يستعبد بعضهم بعضا ، ويستبد القوى بالضعيف ، من دول وأفراد ؛ فقرر القرآن المساواة بين الناس ، فليس لجنس أو لون أو نسب فضل وامتياز على غيره ، وإنما تتفاوت منزلة الناس ، واعتبارهم عند الله بحسب فضائلهم من علم وعمل صالح . وجاء فى القرآن : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال النبي عليه السلام : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

وكانت المرأة عند الرومان والعرب كالمتاع لا حقوق لها ولا إرث ولا إرادة ، فرفع الإسلام شأنها وأعطاها حرية الإرادة فى زواجها واختيار زوجها والتصرف بمالها وحقوقها ، دون أى سلطة عليها لزوجها أو لأحد من أفراد أسرتها .

وفرض القرآن فى أموال الأغنياء نصيبا يسمى الزكاة سوى الضرائب التى تحتاج إليها أعمال الدولة . والزكاة تكفى لإسعاف الفقراء والعاجزين وكثير من المصالح العامة ؛ فقرر الإسلام بذلك نظاما للتضامن الاجتماعى ، تُحترم فيه الملكية الفردية ، ويحقق معها التضامن الاجتماعى الذى يكفل كفاية المحتاجين والفقراء ، ولو طبق فى العالم اليوم لزال كثير من الشقاء والبؤس الذى تستغله اليوم بعض المذاهب الاقتصادية المتطرفة .

٥ — الأساس التشريعى :

أتى الإسلام بقواعد تشريعية كافية لإقامة بناء قانونى شامل فى الحقوق العامة والخاصة ، وقد نشأ عن هذه القواعد التشريعية فقه إسلامى عظيم فى جميع فروع الحقوق كان أعظم ثروة تشريعية قضائية إلى اليوم فى العالم ؛ ففيه من النظريات القانونية مالا نهاية له .

وفى الناحية الدولية يقرر الإسلام أن السلم هو غاية الحرب ؛ وفى ذلك يقول القرآن خطابا للرسول بشأن الأعداء : « وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها » .

وأوجب الإسلام تطبيق مبدأ العدالة فى المعاملات الدولية ، وإخضاع الخلاف الدولى بين الدولة الإسلامية وغيرها للقضاء فى السلم والحرب كالخلاف بين الأفراد .

ومنع الإسلام فى الحرب المشروعة قتل النساء والأطفال والعاجزين والمرضى ورجال الدين المنقطعين للعبادة ، ومنع معاملة الأعداء بالمثل إذا ارتكبوا ما يخالف المبادئ الإنسانية .

٦ — الأساس الأخلاقى :

نبه الإسلام الإنسان إلى أن مهمته الأساسية أن يكون عضوا نافعا فى المجتمع . وهذا يستلزم منه أمرين أساسيين :

الأول : أن يكون عاملا بجد ، ومتقنا لعمله ، ومتشبثا بأسباب القوة إلى أقصى حد ممكن ؛ وفى ذلك يقول الرسول : « إن الله يحب المؤمن المحترف » ويقول أيضا :

« إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه » ويقول أيضا : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

والثانى : أن يكون محبا للخير مشاركا فى العمل لمصلحة المجتمع ، ويعتبر الناس إخوانا له ، وبقدر نفعه تكون منزلته عند الله ؛ وفى ذلك يقول الرسول : « الناس عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » .

وقد نهى النبى عن التعصب الذى يعمى صاحبه عن الحق فقال : « ليس منّا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » .

وأوجب على المؤمن أن يكون جريئا فى قول الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ فقال : « أفضل الجهاد كلمة حق أمام أمير جائر » .

والإسلام فى سياسته التشريعية والأخلاقية لم يأت بما يصادم الغرائز البشرية ، لأنه عندئذ يكون نظريا غير قابل للتطبيق ، بل راعى الإسلام فى أوامره الطبائع الأصلية والغرائز الفطرية ، وسعى إلى توجيهها وجهة الاعتدال والصلاح .

وعلى هذا الأساس لم يقبل الإسلام فكرة الترهب فى الامتناع عن الزواج ، لأن الحاجة إلى الزواج فى الرجل والمرأة غريزية ، فإذا كُبتت كان لها نتائج سيئة .

وعلى هذا الأساس أيضا لم يأمر الإسلام من يُضرب على خده الأيمن أن يدير للضارب خده الأيسر ، لأن هذا أولاً يشجع المعتدى على العدوان ، ولأن حب الانتقام غريزة فطرية فى الطبيعة البشرية فلن تستجيب إلى مثل هذا الأمر .

ولكن سوغ القرآن الاعتداء بالمثل بواسطة القضاء ، ومنع التجاوز فى العقاب عن حد المماثلة ، وعلى الأبرياء ؛ فقضى بذلك على فكرة الثأر التى كانت تجتاح القبائل وتأخذ البرىء بذنب المجرم ، وأتى بما يروى غريزة الانتقام ويقمع العدوان ضمن حدود العدالة .

وقد نظم الإسلام الاستفادة من جميع العناصر المتضادة فى الحياة لأن كلا منهما مفيد إذا استعمل فى المحل الذى يناسبه ، فى الوقت الذى يندب فيه الشخص إلى

التسامح فى حقوقه الخاصة ، يمنع التسامح ويوجب التشدد والقسوة فى صيانة الحقوق العامة ؛ لأن التساهل فى صيانتها مفسدة لحياة الأمة .

وبينما يشدد الإسلام فى لزوم اتباع أوامره ونواهيه فى الأحوال العادية ، يقيم لحالات الاضطرار وعسر التطبيق اعتباراً آخر يسوغ معه تدابير استثنائية يباح فيها المحظور إلى أن تزول الحالة الاضطرارية .

ويطبق مبدأ الضرورات فى العبادات من صلاة وصيام ، كما فى سائر الأوامر الأخرى .

هذه صورة إجمالية للإسلام يتبين منها أن الإسلام دين السلام ؛ وهو تحرير للعقل ، وتطهير للنفس ، وإصلاح للمجتمع ، وثورة على الجهل والخرافات والتقليد والتعصب ، وبعث جديد للأخلاق والحرية .

وهنا أريد أن أنبه إلى ناحية هامة هى أن الإسلام لا يطبقه اليوم أبناؤه فى البلاد الإسلامية تطبيقاً كاملا ولا صحيحا ، بل معظم أعمالهم منحرفة عنه ؛ ولكن أصوله من القرآن وأقوال الرسول وأفعاله محفوظة مصونة .

فالإسلام ليس أشخاصا ، بل هو مبادئ ونظام ؛ فلا تؤخذ حقيقته من أعمال أهله المخالفة لتعاليمه — ملوكا كانوا أو رعايا — وليست أعمالهم حجة عليه ، بل هو حجة عليهم .

مناجاة

إن تكن تجزع من دمعى إذا فاض فصنه
أو تكن أبصرت يوماً سيداً يعفو فكنه
أنا لا أصبر عمن لا يحل الصبر عنه
كلّ ذنب فى الهوى يُغفر لى ما لم أخنه

بسمات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام
سفير مصر بالباكستان

ذلك هدى الله

(ما عن المنزل عندي خبر   غير أن أسمع صوت الجرس)

الغيب لله والمستقبل عنده، وكثيراً ما تلتمس الأعلام، وتشتبه السبل، ويحار العقل ويضل البصر. وكثيرا ما تحيط بنا الشبه ويثور فينا الشك. وكثيرا ما تعترض العقبة وتبعد الشقة، ويساورنا اليأس ويكاد يغلبنا الضجر.

ولكنا على العلات في سبيلنا ماضون، وعلى كثرة المضلات على الطريقة مستقيمون، وللعقبات مقتحمون. ينير على البعد بصيص، ويهب من قبل المنزل نسيم، فتتوجه إلى الغاية القلوب، ويتحرك شطر القطب الوجدان.

لا ندري أين المنزل ولكن نسمع صلصلة الجرس، الجرس الذي يهدي القافلة الحائرة، ويدعو إلى الطريق السابلة.

رحم الله حافظا الشيرازي:

ماز منزلكه مقصود بى خبريم   اين قدر هست كه بانك جرسى مى آيد

سير الزمن

كثيرا ما آخذ القلم لأكتب كلمة اليوم — بعد أن أخذت نفسي بكتابة هذه الصفحات على الأيام — فأجد صفحات بيضاء لأيام ماضية فأتذكر ما قلت قبلا:

يقلب الزمان من أيامه   أسرع من تقليبنا أوراقنا

وأقول لنفسي: كلمة لا تشغلني إلا دقائق قليلة وأنا أحرص عليها ولا أستطيع أن أسجلها في أربع وعشرين ساعة ولا أقوى على مسابقة الزمان فيها، ما أصعب تأدية العمل في حينه والمثابرة عليه! ما أصعب هذا على من استسلم للشواغل وسار مع التيار، وما أيسره لمن عزم عليه ومرن فيه.

ما أعظم هذا أثراً في حياة الإنسان وعمله، وما أدله على إنجاحه وإخفاقه. لعل

أكبر فارق بين أمة وأخرى ، وإنسان وإنسان ، تقسيم الأعمال على الأوقات ، وإنجاز كل عمل فى وقته .

كم يضيع من أعمارنا ، أممنا وآحادنا ، فى عمل يؤخر ثم يركم بعضه على بعض فيهمل ، أو يدرك بعد وقته ، وبعد أن يكلفنا من الانتظار والبحث والقلق والنصب مالا يكلف عشره أو عشر عشره لو أنجز فى وقته . لا تؤخر عمل يومك إلى غدك ، ولا عمل صباحك إلى مسائك ؛ ولا عمل ساعة إلى ساعة ، لا تبطئ والزمان عجلان ، ولا تنم والدهر يقظان .

من المهد إلى اللحد

« اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » إن لم يكن من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لفظاً فهو من أحاديثه معنى . هو يلائم مقاصد الإسلام وأوامره وسننه وتاريخه . طلب العلم عند المسلمين عبادة . طلب العلم كله ، ما تستقيم به الدنيا وما يستقيم به الدين . وكذلك كانت مساجد المسلمين مدارسهم ، ولم تكن مدارس للفقه والتفسير فحسب ، ولكن كانت مدارس لكل ما وعى المسلمون من العلوم الشرعية والعربية ، والعلوم العقلية من الطب والرياضة والفلك وهلم جرا .

وقد سار المسلمون فى تقديس العلم سيرتهم ، وأمضوا فى طلبه أعمارهم ، ودعوا إلى طلبه من المهد إلى اللحد .

سئل شبيب بن شيبة : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ فقال ما دام يحسن به أن يعيش يحسن به أن يتعلم .

وقال على بن عيسى الوالجى : دخلت على أبى الريحان البيرونى وهو يجود بنفسه قد حشرج نفَسه وضاق به صدره فقال لى : كيف قلت يوما حساب الجدات الفاسدات (يعنى ميراث الجدات لأم) قلت أفى هذه الحالة ؟ قال ياهذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ، ألا يكون خيرا من أن أخليها وأنا جاهل بها ؟

هكذا نحن معشر المسلمين دعاة إلى العلم ، عبّاد بالتعلم والتعليم ، حِراص على المعرفة دائبون فى طلبها . شعارنا الآية الكريمة « وقل ربى زدنى علما » ، والآية الأخرى « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » والقول المأثور الذى نجعل له قداسة الحديث : اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .

كارثة فلسطين

الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

(٤)

لم يُسفر «مؤتمر المائدة المستديرة» — الذى عُقد بلندن فى أوائل سنة ١٩٣٩ عن نتيجة مُرضية . وكان هذا — على أية حال — أمراً متوقعا : إذ أنه ما كان من الممكن ولا من المعقول أن يحدث توفيق بين صاحب الشىء ومغتصبه ، أو بين المجنى عليه والمعتدى ، ما دام العدوان قائماً وعملية الاغتصاب مستمرة .

ولكن هذا « المؤتمر » من ناحية أخرى كانت له بعض نتائج ذات أهمية كبيرة : فمن ذلك أنه أعطى العرب فرصة ثمينة — كانوا من جانبهم متيقظين لها فلم يدعوها تُفلت من بين أيديهم — استطاعوا فيها أن يتصلوا بالمسئولين الإنجليز اتصالاً مباشرا ، وأن يعرضوا عليهم وعلى الرأى العام البريطانى قضية « فلسطين » عرضاً وافياً مؤيدا بالأدلة القوية والبراهين ؛ وكانت الاضطرابات التى حدثت فى الأرض المقدسة واحتجاجات الأمم العربية — وفى مقدمتها مصر — قد لفتت الأنظار إلى تلك القضية . فلأول مرة بدأ الرأى العام فى بريطانيا يدرك وجهة نظر العرب إدراكاً صحيحاً ، ويشعر بشىء من العطف على العرب الذين كانوا يهاجَمون فى ديارهم ، ولم يكن من قبل يسمع إلا دعايات اليهود وأباطيلهم التى لم يألوا جهداً فى ترديدها ونشرها ، وما كان رجل الشارع الإنجليزى يعرف — فى الغالب — عن « فلسطين » أكثر مما ذكرت « التوراة » من أنها كانت مسكناً لبنى إسرائيل ، فما داموا — هكذا يؤدى به منطقه السديد الذى لا تشوبه شائبة — قد سكنوها قبل ثلاثة آلاف

أو ألفى عام ، فمن حقهم أن يعود مدّعو اليهودية من مختلف الأجناس إليها ؛ أو بعبارة أخرى إن العالم ينبغى أن يعاد تقسيم خريطته وفقاً لما جاء فى « التوراة »[1] ! ! !

نتيجةً لهذا الاتصال إذن ، وأيضاً لما طرأ من تطور على الأحداث العالمية وحرص إنجلترا على أن يكون العرب مؤيدين لها فى أثناء نشوب حرب ، وأيضاً لشعورها بأن هذا الكائن العجيب الذى ألقت به للعالم ، عن طريق الإثم ، قد أخذ يتحول إلى مخلوق شاذ غريب التصرفات ، يخرج عن طاعتها ، ويريد أن يفلت من زمامها ، فأحست من جانبه بالخطورة ، وما أرادته إلا أن يكون خاضعاً لها — نتيجة لهذا كله ظهر تحول فى السياسة الإنجليزية ، أفصح عنه « الكتاب الأبيض » الذى أصدرته إنجلترا بعد انفضاض المؤتمر (مايو ١٩٣٩) وناقشه البرلمان الإنجليزى فوافق عليه فى صيف ذلك العام ، بالرغم من معارضة بعض الغلاة من أمثال «تشرشل» و « إمرى » . وقد حددت إنجلترا فى هذا الكتاب السياسة التى قررت أن تتبعها فى حكمها لفلسطين ، وهو وثيقة تاريخية لا تقل فى أهميتها عن وعد « بلفور » نفسه ، ويعتبر معدلاً وموضحاً له . وكان صدوره ولا شك نصراً للعرب من بعض الوجوه ، كما كان خذلاناً للصهيونية التى ظلت تكسب انتصارات منذ صدور الوعد المذكور .

يمكن تلخيص التغير الذى طرأ على السياسة الإنجليزية — بصفة عامة — بأن إنجلترا تحولت من التأييد المطلق لليهود إلى التأييد المقيد . وقد ظهر هذا التغير فى أن « الكتاب الأبيض » قد أعلن أن إنجلترا لا تنوى إقامة « دولة يهودية » فى فلسطين — وكان هذا فى الواقع تأييداً لتصريح سبق أن أعلنته فى سنة ١٩٢٢ ، وإن كانت أعمالها قد أدت إلى عكس ما كان يرمى إليه — كما نفت فى الوقت نفسه أيضاً أن وعودها على لسان معتمدها « مكماهون » فى سنة ١٩١٥ للشريف « حسين » قد تضمنت أن تكون فلسطين داخلة فى حدود الدولة العربية المستقلة ، التى وعدوه أن يُملَّك عليها . وكان هذا تمحكاً وتنصلاً من الوعد — بدون شك — لأن أية دولة عربية على هذا النحو لا بد أن تكون شاملة لفلسطين — التى ما هى إلا الجزء الجنوبى من قطر الشام — وقررت إنجلترا أن هدفها أنها

(١) انظر : الطريق إلى مكة (بينى وبين وايزمان) للأستاذ محمد أسد العدد الخامس ، السنة الثالثة ، ص ٤٢ .

ستعمل على تكوين حكومة مستقلة لفلسطين ، مرتبطة معها بمعاهدة ، من الجنسين العربي واليهودى ، وذلك فى مدى عشر سنوات ، ما لم يطرأ ما يضطرها إلى التأجيل . وستعمد إلى إشراك المنصرين فى إدارة الأعمال بنصيب متزايد ، وبنسبتهما العددية . وبعد خمس سنوات يكون الأمن فيها قد استقر ، يوضع دستور للبلاد ، ثم اعترفت إنجلترا — وكان هذا أهم ما احتوى عليه « الكتاب » — بأن الهجرة هى أس البلاء وسبب الاضطرابات — ولكن هذا الاعتراف جاء بعد فوات الأوان — فاعتزمت تقييدها : وذلك بأن قررت أن يُسمح بدخول ٧٥٠٠٠ مهاجر فى مدى خمس سنوات ، بمعدل ١٠٠٠٠ كل عام يضاف إليهم ٢٥٠٠٠ آخرين ، وذلك لكى تبلغ نسبة اليهود ثلث عدد سكان فلسطين كلها . ثم لا يسمح بعد ذلك بقبول مهاجرين إلا بموافقة العرب . وأوضح الكتاب أن موارد فلسطين وإمكانياتها الزراعية والصناعية لا يمكن أن تسمح بقبول أكثر من هذه النسبة ، دون أن يكون فى ذلك أكبر الخطر على السكان الأصليين .

فلما عُرض هذا الكتاب على مجلس عصبة الأمم رفضه بإجماع الآراء ، محتجاً بأن هذه السياسة تتعارض مع أغراض الانتداب — مما دل على أن تلك العصبة كانت خاضعة لتأثير الصهيونية خضوعاً تاما — إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية فى ذلك الظرف أطاح بالقرار كما قضى على « العصبة » ، وأتى بجديد من التطورات : فكان فى مقدمتها أن اشتدت وطأة « النازيين » على اليهود — إذ كانوا دائماً موضع الاشتباه — فحُشدوا فى معسكرات الاعتقال ، وحُلت مؤسساتهم وصودرت ممتلكاتهم ، كما طوردوا من كل بلد دخلته الجيوش الألمانية . وقد أدى ذلك إلى ازدياد عدد النازحين ، فأخذت أمريكا وإنجلترا نصيباً ، ولكنهما أرادتا أن يُرسل الجزء الأعظم إلى وطن العرب ، فلسطين المنكوبة ! وبادر اليهود فأظهروا استعدادهم لمساعدة الحلفاء فى جهودهم الحربية : انتقاماً من « هتلر » أولا ، واهتبالاً لفرصة الحرب ليدبروا مؤامراتهم ويحكموا خططهم فى غمرتها ثانياً ، ولينالوا جزاءهم أيضاً بعد النصر . ولا سيما وقد أخلد العرب إلى الهدوء بعد قيام الحرب ، ووضعوا قضية « فلسطين » على الرف ، ولم يترددوا فى أن يضعوا كل مواردهم فى خدمة

الحلفاء المستعمرين ، دون أن يأخذوا عليهم المواثيق ويستخلصوا منهم الضمانات للمستقبل ، فى تلك الظروف التى كانوا أحوج ما يكون فيها إلى مساعدة العرب ، وأكثر ما يكون استعداداً للاتفاق معهم .

غير أن اليهود ظلوا حانقين على إنجلترا ، بالرغم من أنها هى التى أنشأت لهم الوطن « المغتصب » ، وبالرغم من خدماتها الجليلة التى ظلت تقدمها لهم أكثر من عشرين عاما ، وذلك لتقييدها « الهجرة » كما أعلنت فى كتابها الأبيض ، ولإصدارها قانوناً أيضاً فى عام ١٩٤٠ يقيد عمليات شراء الأراضى التى كانت تمولها الهيئات الصهيونية العالمية . فلما دخلت أمريكا الحرب أخذوا يولّون وجوههم شطرها ، وقد أدركوا أن إنجلترا قد استنفدت أغراضها فيما يتعلق بخدمة قضيتهم ، وهم واثقون على كل حال أنها لن تتخلى عنهم برغم انصرافهم عنها ، لكراهيتها العميقة للعرب والإسلام . ولم يكن اليهود بحاجة إلى جهد كبير ليظفروا بضم أمريكا إلى جانبهم وتأييدها لمطالبهم ، فهى تعطف على الصهيونية منذ نشأتها . ولليهود فيها النفوذ القوى فى دوائر المال والصناعة ، ولهم سيطرتهم على وسائل الدعاية والصحافة . كما أن أمريكا تجهل — أكثر من أختها إنجلترا — أحوال الشرق والعرب ، ولم يبق لها من مسيحيتها إلا مجموعة أفكار خاطئة عن الإسلام ، وشعور بالتعصب ضده ؛ وهى تذكر « فلسطين » أيضاً على الصورة التى وردت عنها فى « التوراة » ولا تعرف ما طرأ من تطورات ، فى مدى ألفى عام ، على تلك البلاد منذ ذلك العهد : وفى طليعتها إنقاذ الإسلام للأرض المقدسة من ظلم واضطهاد البيزنطيين والرومان الذين استمروا فيها نحو سبعة قرون ، ثم بقى نوره وسماحته يشرقان عليها منذ ذلك الحين ، ثلاثة عشر قرنا أخرى .

وإن انضمام « أمريكا » إلى اليهود — بهذا التعصب وذاك الجهل — كان أكبر تطور طرأ على القضية الفلسطينية منذ ظهورها ، وهو الذى حولها من مجرد قضية . . فجعلها كارثة ، وأية كارثة ! !

« يتبع »

برنامجنا الاقتصادى

للأستاذ محمود أبو السعود
مستشار بنك الدولة بباكستان

مقدمـة :

برنامجنا الاقتصادى يتكون من شقين :

(أ) القسم العام : وهو يتعلق بالغاية الاقتصادية التى لايختلف فيها اثنان ، أعنى زيادة الإنتاج إلى أقصى حد ممكن بأقل مجهود . وهذه الغاية تنفذ بطرق تختلف باختلاف المثل العليا السائدة ، وباختلاف الظروف والملابسات . ونحن نتفق مع غيرنا فى هذا القسم على الناحية العامة ؛ فمن برنامجنا أن نعرف :

١ — الثروة الزراعية والحيوانية ، وإمكانيات التوسع فيها ، بما فى ذلك تحسين أدوات الزراعة والفنون العلمية . . والملكية الزراعية .

٢ — الثروة المعدنية ، ماهو موجود منها وما هو بعدُ ركاز فى باطن الأرض ، ومدى استثمار هذه الثروة .

٣ — الثروة غير المنظورة ، ويقصد بها الخدمات التى يحتاج إليها الناس فى معاشهم من تجارة ونقل وتأمين . . . الخ ، ومدى ترقية الفنون الخاصة بهذه الثروة حتى تؤدى الخدمات بأقل نفقة على أتم وجه ، وحتى يزداد الدخل الأهلى ، وبالتالى حصة الفرد فيه ، ازدياداً مضطرداً .

هذا القسم العام موضوعى : أى هو يبين الغاية التى يسعى البشر إلى تحقيقها ، وهى غايات يكاد الناس يتفقون عليها جميعاً ؛ وإنمـا أوردناها لنثبت هنا أن مثلنا الأعلى لايقتصر على التغذية الروحية ، ولـكنه أيضاً يعالج المسائل المـادية فى الصميم ، وإننا كآدميين مسلمين نتفق مع غيرنا من الملل والنحل فى الرغبة فى الرقى بالناحية المادية ؛ حتى يستطيع الفرد أن يعبد ربه فى يسر أكبر ، وحتى يمكنه أن يفيد مجتمعه فائدة أعظم .

المقصود إذن من الارتقاء المادى هو المعاونة على الارتقاء المعنوى ؛ فنحن لا نقر المذهب القائل بأن الحياة الاقتصادية بشكل خاص ، والوجودية بشكل عام ، تقوم على المادة فحسب ، ونحن لا نؤمن بالإله (الذرى) الذى يدعو إليه هكسلى ، ولكنا نؤمن بالله الذى خلق الناس وخلق هذا الكون ، وأوجد النواميس والنظم الكونية ، وأودع الإنسان روحاً يعيش بمقتضاها ، ونؤمن بالبعث واليوم الآخر ؛ وهذا الإيمان هو الذى يحدونا إلى النظر فى الوسائل التى نستطيع بها أن نعمل فى دنيانا الفانية لنسعد فى أخرانا الخالدة .

(ب) القسم الخاص : وهو يتعلق بكيفية الوصول إلى هذه الغايات ، وتنفيذ الوسائل المؤدية إليها . وبعبارة أخرى ينصبُّ هذا القسم على الطرق التى يمكن بها أن نزيد من ثرواتنا المنظورة أو المحسوسة : من نباتية وحيوانية ومعدنية ، وكذلك ثرواتنا الغير المنظورة : من تجارة واحتراف مهنى وتأمين . . . الخ . وواضح أن هذا القسم يختلف عن سابقه ، فهو ذاتى يتبع المثل الأعلى والطريق السياسى والنهج الاجتماعى التى تعيش الجماعة بمقتضاها . من أجل هذا نجد أن ما يسمى بالنهج الاقتصادى Economic Planning يختلف باختلاف البلاد والحضارات والمذاهب السياسية والاقتصادية . ونحن معشر المسلمين نتميز حين وضع هذا النهج عن غيرنا بما يتميز به الإسلام عن غيره من المثل العليا ، وأنواع الثقافات والحضارات .

يُفهم من هذا أن النهج الذى ندعو إليه إنما هو نهج ينتج أعظم الثمار إذا ماطبق فى بيئتنا الإسلامية ، لأن المثل الإسلامى الأعلى وضع خطوطاً رئيسية لمعاش الناس ، وربط بين مختلف نواحى النشاط البشرى ؛ حتى إنه ليتعذر تطبيق ناحية إسلامية مع انعدام النواحى الأخرى . وهذا لا يطعن قط فى أن التوجيهات الإسلامية توجيهات علمية ، بل إننا نعتبر كل توجيه بمثابة « قانون علمى » ينطبق ويؤتى ثمره متى توافرت الشروط التى يقتضيها هذا القانون ، وليست القوانين الإسلامية بدعا فى هذا الصدد ، ولكنها تتمشى مع القاعدة المضطردة .

الإسلام والاقتصاد :

هذه الناحية من أهم الأمور التى يجب إبرازها ، وليست اعتذاراً عن دحض

انتقادات قد يثيرها البعض ، ولا هى خروج عن موضوع الاقتصاد ؛ ذلك أن البعض يعيب على النظريات الإسلامية أنها ليست عملية ، أو أنها خيال لا يمكن تطبيقه . دع عنك أولئك الذين يزعمون بالباطل أن هذه النظريات لاتعدو كونها « فروضاً علمية » انقضى زمنها ، وإنما ازدهرت حين عنا الناس لسلطان النبوة ، وحينما وقعوا تحت تأثير شخصية الرسول عليه السلام والقلة من الصحابة الذين أخذوا عنه . كما يقول فريق آخر إن التحدث فى « الإسلاميات » خروج بالاقتصاد عن نطاقه العلمى ؛ فالإسلام دين والاقتصاد علم ، ومقومات الأديان عقدية تلقينية ، ومحلها القلب (هذا إذا لم يكن المجادل من المنكرين لوجود الله أصلاً والعياذ بالله) بينما الاقتصاد علم ينصب على دراسة العلاقة بين الإنسان والمادة ، وليس له دخل بالعقيدة ، أو مساس بالروح واللاهوت . وردنا على هؤلاء أنهم يجهلون أو يتجاهلون الأديان عامة والإسلام خاصة ؛ فإنما كانت الأديان لإسعاد الناس كما هم : مادة وروح ، وأخذت هذه الأديان تتدرج فى تثقيفها للعقل البشرى ، وتعلم شعوبه بمقتضيات أحوالها حتى خُتمت الرسالات بالمعلم الأعظم والنبى الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . ونحن لانكاد نجد ديناً سماوياً إلا واشتمل على تعليمات مادية ، بل إنه من غير المعقول أن يتجاهل الدين المادة ؛ وليس أدلَّ على ذلك من أن الأديان كلها عالجت مسألة النقود ، فحرمت الربا كما هو مشهور ، كما احترمت الثروة غير المنظورة ، فحمت أرباب الحرف والتجار من احتقار العقول المتجبرة الآثمة ، وسمت بالإنتاج المادى وحثت عليه ، وحاربت البطالة من نواح متعددة . ولعمرى إذا عولجت هذه المشاكل فما الذى بقى فى أمهات نظريات الاقتصاد دون نظر ؟ .

هذا شأن الأديان عامة ، أما شأن الإسلام فهو شأن الخاص من العام ؛ ذلك أنه نص فى صلبه على نظريات مادية بالغة الوضوح ، ونظّم حياتنا الاقتصادية تنظيما دقيقاً لا يستطيع مُلاحٍ أن ينكرها وإن لم يؤمن بها ، فالملكية معروفة مقررة ، واستغلال الأرض الزراعية منصوص عليه إجمالاً وتفصيلا ، والعلاقة المادية بين الأفراد مبوبة مفصلة ، وتداول الثروات مذكور مشهور . كل ذلك بعض ماجاء به الإسلام ، وإن كان قد أجمل أحكامه فى بعض الحالات فما ذلك إلاّ ليفسح مجالاً

للتطور الفكرى بين البشر ومُلاءمة أحوال الناس على مر العصور . أما المزاوجة بين الماديات والمعنويات فى التعليمات الدينية فأحسب أن ذلك صار مبدأ مقرراً فى الدراسات العلمية الحديثة ، وإنك لتسمع عن العلاج النفسانى بجانب الطب الإكلينيكى ، وإنا لندرس المدرسة الاقتصادية النفسية مع المدرسة الكلاسيكية والنفعية ؛ بل إن أكثر التعليلات التى يقرها الاقتصاديون المحدثون تنبنى على الانفعالات النفسية للفرد أوللجماعة . وهل هذه الانفعالات إلاّ معنويات فى الصميم، لاقياس لها فى عالم المادة وإن لم يتيسر فصلها عنه ؟ إن العامل النفسى Psychological يؤثر فى منحنى الطلب والعرض ، ويؤثر فى حدوث الأزمات الدورية ، ويؤثر فى الكفاية الإنتاجية للعامل ، ويؤثر فى سرعة تداول النقود ، ويؤثر فى مدى مخاطرة المكافل[1] . ماالذى بقى من عناصر الاقتصاد دون تأثر بهذا العامل النفسى وقد شمل الإنتاج والتوزيع والتداول والمخاطرة جميعا ؟ .

وقبل أن ننتقل إلى لب الموضوع يحسن أن ننبه إلى أن العلوم كلها ، بما فيها الاقتصاد السياسى ، ليست غاية فى ذاتها ، وإنما هى كما قدمنا وسائل لإسعاد الفرد فى حياته الدنيا عند الدهريين ، وفى حياتيه الأولى والآخرة عند المؤمنين . ومن هنا ينشأ نوع من الخلاف بين الفريقين له أثره إن لم يكن فى النتيجة النهائية أو الغاية القصوى من دراسة هذا العلم ، فإن له أثره على كل حال فى رسم السبيل للوصول إلى هذه الغاية . فمعتنق المادية يتأثر بأمرين جوهريين : النفعية والذاتية : أى مدى ما سيعود عليه من نفع بصرف النظر عما يصيب المجتمع من خير أو شر ، فهو على هذا الوضع لا يهمه غيره من البشر ، وسواء عليه أصابتهم السراء أوالضراء من جراء عمله ؛ إذهو لايحجم عنه ما دام فيه نفع له ، ولا يثنيه عن إتيان هذا العمل إلا القانون وما يفرضه من عقاب مادى . والأمر الثانى الذى يسيطر على الماديين هو حصولهم على المادة بأى طريق مادام القانون لم ينص على تحريم سلوكه . ولذلك فهم والقانون فى حرب مستمرة طاحنة : القانون يريد أن يضيق عليهم الخناق حتى لايكسبوا عن طريق (غير شريف) ، وهم يكدوون عقولهم للتهرب من القانون واقتناء المادة من أى طريق . أما معتنقو

(١) المكافلة فى نظرنا أدق ترجمة للفظ Entrepreneur (راجع لسان العرب، باب كفل)

الأديان — والمسلمون على التخصيص — فهم على نقيض ذلك ؛ إذ لا يُقرون المبدأ الميكيافيلي من أن الغايات تبرر الوسائل ؛ فهم يقدِّرون أنهم يعيشون فى مجتمع متكافل وعليهم ألا يضروا رفقاءهم فى مجتمعهم . من أجل هذا يحجمون عن تحقيق ربح إذا كان فيه إضرار بالغير ، ومعنى هذا بلغة الاقتصاديين أن المادى ينظر إلى النشاط الاقتصادى Economic activity من وجهة فردية Individualistic بينما ينظر إليها المسلم من وجهة جماعية Callective or Socialistic . وعله من الطريف أن نذكر أن بعض الاقتصاديين فى العصر الحديث بدأوا فعلا فى النظر إلى المنفعة من وجهة اجتماعية ؛ فليس النشاط الاقتصادى هو ما أدى إلى منفعة فردية ، ولكنه ما أدى إلى منفعة جماعية إيجابية Positive Social Utility فلا يكفى إذن أن يكون النشاط منصباً على إتيان عمل يشبع رغبة لمبادلته بقصد تحقيق ربح[1] ، بل لابد أن تكون المنفعة الكلية التى تصيب المجتمع من مثل هذا العمل منفعة إيجابية Positive أى يجب ألا يضار المجتمع من جرّاء نشاط اقتصادى يقوم به فرد معين بالذات[2] . وأكثر من هذا يذهب بعض الاقتصاديين إلى اعتبار بعض الالتزامات الأدبية نشاطاً اقتصادياً ، فإنفاق الوالد على ابنه وإعالة الأسرة . . الخ . كل هذه يعتبرها الأستاذ بيجو Pigou أعمالا اقتصادية Income . هذه مفارقة ، والمفارقة الثانية أن الغايات عند المسلم لاتبرر الوسائل بحال من الأحوال فى جميع المعاملات المعيشية . والإسلام فى ذلك واضح صريح ، وعلّه أيضاً زاجر حازم ، يأخذ على الناس سبل التحايل ، ويبين لهم سبيل الرشاد ، ثم يعاقب فى صرامة من اتبع هواه وحاد عن قصد السبيل . الكسب فى الإسلام لا يبرر التجارة فى الخمر ، أو فتح نوادى القمار ، أو تجارة الأعراض ، أو الملاهى غير البريئة ، وعلّه هنا يسد ذريعة الغواية بتقرير مبدأ « دع ما يريبك إلى مالا يريبك» وبتنظيم التشريع والتقنين بحيث يعطى للسلطان الحق فى معاقبة التحايل وإن لم يوجد النص متى ثبت لديه معنى التحايل ، فإن وجد النص فالعقاب شديد رادع . وليس معنى هذا إطلاقاً أن الإسلام كمذهب اجتماعى نزل منذ نيف وثلاثة عشر قرناً إنما خلط

(1) Hicus : Social Frame work
(2) Roberkson : Social Utility

علم الأخلاق بعلم الاقتصاد (وإن كنا لا نرى من ذلك مانعاً) ولكن معناه أن الإسلام حين قرر ما قرر فى شأن هذه المسائل وأشباهها إنما نظر إلى المنفعة الجماعية قبل المنفعة الفردية . والأغلب أن كل ما يصلح المجموع يصلح الفرد ؛ فإن وقعت حالة على خلاف ذلك فيجب أن تضحى مصلحة الفرد فى سبيل مصلحة المجموع .

ثم فارق آخر بين الاقتصاد الكلاسيكى والاقتصاد الإسلامى يمس أساس علاج الموضوع فى الصميم . ذلك أن الكلاسيك من الاقتصاديين يفترضون وجود « رجل اقتصادى » — (Homs Economs) . وهو إنسان وهمى لاوجود له ، لايستجيب إلا للنزعات الاقتصادية ، ولا يتحرك إلا تبعاً لما تمليه عليه مصلحته الشخصية المادية — ولا شك أن أية نظرية تنبنى على وهم هى وهم وخيال — أما الإسلام فإنه يأخذ الناس كما هم ، لا يلجأ إلى افتراض خيالى يبنى عليه فروضاً علمية أو نظريات تحليلية. والسبب فى ذلك بيّن : الاقتصاديون بشر لا يستطيعون تحليل دفائن النفس البشرية ؛ إذ المعروف فى الفلسفة أن درجة الكمال هى تلك التى يصل فيها الفرد إلى الإحاطة بنفسه ومعرفة كل كامنة أو جائلة بين طياتها ، وهذه مرتبة لا يكاد يصل إليها بشر إلا من أوحى إليه ربك وأراد له ذلك . من أجل ذلك لجأ الاقتصاديون إلى معالجة جانب من جوانب النفس وهو الجانب المادى ، وأرادوا أن يقيموا صرح الاقتصاد على أساس التصرفات المادية التى تصدر عن هذا الجانب . ولما كان من المستحيل فصل جوانب النفس البشرية عن بعضها : ماديها من معنويها . لجأ العلماء الغربيون إلى « اختراع » هذا الإنسان الاقتصادى ، وبنوا عليه أسس هذا العلم . وظاهرٌ مدى ما قابلوا من مصاعب ، وما حاق بهم من فشل .

أما الإسلام فهودين أنزله الذى خلق الناس كما هم ؛ وخالق الشى يعرف كل دقائقه ، فهو حين يبحث فى الحياة المادية للبشر المخلوقين يعلم ما هم عليه ، وما يحتوشهم من رغائب ، أو يعتورهم من قصور ، أو يطغى عليهم من شهوات — يعلم كل هذا فيشرع له وينظمه فى أحكامه وقوانينه .

وسواء كنت من المنكرين للإسلام أو من المعتنقين لمبادئه ، فإن علاج المشاكل الاقتصادية حسبما قرره الإسلام حق فى ذاته ، برغم أنه يشترط وجود وسط إسلامى

كامل ليظهر أثره الكامل فى ميدان الاقتصاد ، ولا سبيل لإنكار هذه القوانين الإسلامية العلمية إذا درسناها مجردة مستقلة ، ولكن من الصعب جداً أن تطبق هذه القوانين ما لم تتوافر الشروط التى افترضها الإسلام لقيامها .

ولعل معترضاً يقول : إن كثيراً مما فرض الإسلام يعتبر أدخل فى باب الاجتماع منه فى باب الاقتصاد ، وهذا اعتراض واهٍ ، بادى الضعف لسببين :

الأول : أنه ليس هناك حد فاصل متميز يفرق بين الاقتصاد والاجتماع ، والثانى — وقد سبقت الإشارة إليه — أنه يستحيل أن يفصل الاجتماع عن الاقتصاد ، ولئن جازهذا الفصل فى الاقتصاد الأوروبى فهو من باب الحتم اللازم فى الاقتصاد الإسلامى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ، ثم تردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون » .

والإسلام حين يدرس المشاكل المادية فى بيئته الخاصة يفترض أن تكون تصرفات الأفراد متمشية مع تعاليمه فى سائر أوجه النشاط البشرى . ومن المستحيل أن ننتظر نتائج إيجابية الفائدة لتطبيق نظرية اقتصادية فى وسط غير إسلامى ؛ إذ الإسلام كل متكامل وحلقات متصلة — وإن استقلت كل منها بنفسها — وبالرغم من هذه الحقيقة التى تعمدنا تكرارها فليس من المنطق أبداً أن نهمل كل جزئيات الإسلام حتى نكون البيئة الإسلامية الكاملة وحينئذ فقط نبدأ فى تطبيق الشريعة السمحاء . هذا منطق مضطرب ولا ريب ؛ إذ لن تتحقق شرائط المجتمع الإسلامى ما لم نبدأ فى تطبيق النظم الإسلامية ، وما لم نأتمر بأمر هذا الدين ، وننته بنواهيه ؛ فالواجب إذن أن نبدأ بتعرف تلك النظم ، وأن نأخذ فى تطبيقها رويداً رويداً ، مصححين بذلك أوضاعنا ، ميممين شطر المجتمع الإسلامى الكامل . وسنجد أننا نستفيد بمقدار ما نطبق ، وأن ما اكتسبناه عامنا هذا من تطبيق جزئى سيتضاعف فى العام القابل إن طبقنا نواحى أخرى من نظامنا الإسلامى الشامل .

« يتبع »

قصة تمثيلية :

هكذا لقى الله

للأستاذ علي أحمد باكثير

[عمر بن عبد العزيز على فراش مرضه وهو يجود بنفسه ، وعنده زوجته فاطمة وأخوها مسلمة بن عبد الملك]

مسلمة : ألا تذكر يا أمير المؤمنين من أسقاك المريس ذلك اليوم ؟

عمر : لا أذكر ، إلا أني شربته فكأنما شربت الرصاص الذائب .

فاطمة : لا أحد يسقي أمير المؤمنين غيري وغير غصين مولاه .

عمر : حاشاك يافاطمة وحاشاه . إنه ليحبني وأحبه .

مسلمة : لعل أحداً دفعه إلى ذلك يا أمير المؤمنين .

عمر : لا تقل يامسلمة ماليس لك به علم .

مسلمة : لقد رابني وجوم الغلام من يومئذ .

فاطمة : أجل لم يعد غصين كما كان من قبل .

عمر : سبحان الله ! إنه ليأسى لمرض مولاه . بحياتي عليكما لايرين منكما أنكما تتهمانه ! !

مسلمة : كلا يا أمير المؤمنين ، ماأريناه شيئاً من ذلك .

عمر : عسى أن يكون أحس بما يجول في قلوبكم ، فركبه من جراء ذلك خوف عليّ به يافاطمة لعلي أزيل ما بقلبه .

[تخرج فاطمة]

عمر : إنه القدر يامسلمة . . هو الذي أسقاني ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

مسلمة : لولا كراهيتي أن أثقل عليك ياأمير المؤمنين لحاججتك .

عمر : لا تفعل ، فأبغض شيء إليّ الحجاج والمراء .

فاطمة : [تعود] هو ذا غصين ياأمير المؤمنين .

عمـر : ادخل ياغصين . هل لـكما أن تتركانى وحدى مع غصين ؟

مسلمة : حباً وكرامة ياأمير المؤمنين . [يخرج وفاطمة]

عمـر : لن تراع ياغصين . هلم ادن منى . أوَ لا تسأل عن حالى ؟

غصين : [فى أسى ظاهر] كيف تجدك اليوم ياأمير المؤمنين ؟

عمـر : الحمد لله . أجدنى اليوم أدنى إلى الآخرة منى إلى الدنيا .

غصين : [يطفر الدمع من عينيه] بأبى أنت وأمى ياأمير المؤمنين !!

عمـر : ويحك !! ماذا يبكيك ياغصين ؟

غصين : لوددت لو أن الذى بك كان بى دونك !

عمـر : إن لـكل منا أجلاً لايعدوه ، وإنى لقادم على رب كريم ، فجدير بمن يحبنى ألا يشفق علىّ من خير . أوَ لاتحبنى أنت ياغصين ؟

غصين : بلى والله ياأمير المؤمنين ...

عمـر : فهل لك أن تحلنى من كل إساءة ربما أسأتها إليك دون أن أعلم ؟

غصين : [ينشج باكيا] حنانيك ياأمير المؤمنين ، أنا المسيء إليك وأنت المحسن المتفضل ! تبًّا لى . . تبًّا لى أبد الدهر ! !

عمـر : مهلاً . . لاينبغى أن تدعو على نفسك !

غصين : اقتلنى ياأمير المؤمنين . . مرهم بقتلى فإنى أستحق القتل !

عمـر : صه . . اخفض صوتك لايسمعوك !

غصين : لا أبالى ياأمير المؤمنين إذا أنت غفرت لى كبير جرمى .

عمـر : اخفض صوتك . . اخفضه من أجلى ! .

غصين : [بصوت خافض] اغفر لى ياأمير المؤمنين . . اغفر لى !

عمـر : اللهُ وحده ولىّ المغفرة ، ولـكنى مسامحك ومُحِللك من حق إذا أنت صدقتنى الحديث . .

غصين : إى والله يا أمير المؤمنين لأصدقنك القول ولاأخفى عنك شيئاً .

عمـر : اخفض صوتك !

غصين : [يخفض صوته] أنا الشقىّ الأبعدَ قد دسست لك السم فى ذلك المريس .

عمـر : قد علمت ياغصين يوم أسقيته لى .

غصين : علمت ذلك فلم تكلمني إلا اليوم ؟!

عمر : وما كنت لأكلمك لولا محبتي لك وإشفاقي عليك من عذاب الله يوم القيامة

غصين : وماينجيني من ذلك ياأمير المؤمنين وقد استوجبته بما فعلت ؟

عمر : رجوت بعدُ ياغصين أن تندم وتستغفر ، عسى أن يتوب الله عليك ؟

غصين : ولهذا كلمتني ؟

عمر : نعم . تخبرني ماحملك على مافعلت ؟

غصين : الشقوة التي غلبت عليّ . . الطمع ياأمير المؤمنين !

عمر : أُعطيت شيئاً على ذلك ؟

غصين : نعم . . لأخبرنك بالذي أعطاني ...

عمر : كلا لاتفعل ، ولكن خبّرني كم أعطاك ؟

غصين : ألف دينار ياأمير المؤمنين .

عمر : وقبضتها ؟

غصين : لا ياأمير المؤمنين حتى . . . حتى . . .

عمر : حتى أقضي نحبي ؟

غصين : أجل . . واشقوتاه !

عمر : ويحك إن مت فلن يعطوها لك ، وعسى أن يقتلوك لكيلا تفشي سرهم .
فهل لك يا غصين في خير من ذلك عسى أن تنجو من عذاب الدنيا وسوء عذاب الآخرة .

غصين : كيف يا أمير المؤمنين . . . أرشدني .

عمر : تمضي الساعة إلى صاحبك فتقتضيها منه ، ثم تعود بها حالاً إليّ .

غصين : ما إخاله يرضى يا أمير المؤمنين .

عمر : قل له إنك ستخبرني باسمه إن لم يفعل ! فإنه سيخاف ويعطيك . انطلق الساعة .

غصين : سمعا يا أمير المؤمنين ، يا أكرم الناس ! [يهم بالخروج] .

عمر : رويدك ياغصين . امسح هذا الدمع عن عينك ، وإياك أن تخبر أحدا ،
فهذا سر بيني وبينك .

غصين : [يمسح الدمع عن عينيه] واشقوتاه !

عمـر : إذا سألك أحد فقل إنى بعثتك فى مهمة . انطلق الآن .

[يخرج غصين] .

عمـر : [يتمتم] اللهم اغفر لعبدك غصين !

[يدخل مسلمة وفاطمة]

مسلمة : بعثت الغلام فى مهمة يا أمير المؤمنين ؟

عمـر : نعم . . . ذكرت وديعة عند صاحب لى فبعثته فى طلبها منه .

فاطمة : وديعة !

عمـر : هلمى يا فاطمة فقد آن لى أن أفضى إليك بشىء طالما حاك فى صدرى .

مسلمة : [يهم بالخروج] هل لى يا أمير المؤمنين أن أدعك وأهلك ؟

عمـر : بل تبقى يا أخى . . . إنها أختك ومن الخير أن تشهد . أصغى إلى يا فاطمة .

فاطمة : نفسى فداؤك يا أمير المؤمنين !

عمـر : أتذكرين حليك وجواهرك التى أودعناها فى بيت المـال ؟

فاطمة : قد طابت نفسى عنها يا أمير المؤمنين ، فما بالها ؟ .

عمـر : إنها لم تزل بحالها ، وعليها اسمك ، لم يستهلكها بيت المال بعد . وإنى لأعلم أن الذى يأتى بعدى لن يصرفها فى حقها . فإن تكن نفسك فيها فأنت بها أولى .

مسلمة : أجل . . هى حقك يافاطمة وأنت بها أولى .

فاطمة : إذا أذنت ياأمير المؤمنين فإنى سآخذها وأتصدق بها على الأيامى واليتامى .

عمـر : بخ بخ يا فاطمة ! أما والله ليعزينى عن باطل الدنيا أن من أهلى وولدى من أرجو أن يشفع لى يوم القيامة بصلاحه وتقواه .

فاطمة : بل أنت شفيعنا جميعاً يا أبا عبد الملك ! .

عمـر : كلا يافاطمة . لأنت فى زهدك فيما تلط به قلوب النساء من الزينة والمتاع أتقى لله منى . وكذلك ابنى عبد الملك — يرحمه الله — إذ اتقى الله وهو فى ريعان صباه ! .

مسلمة : والله ماصلح هؤلاء يا أمير المؤمنين إلاّ بصلاحك .

عمـر : [يعرض عن مسلمة إلى فاطمة] ولى حاجة أخرى يافاطمة ! .

فاطمة : ماهى ياأمير المؤمنين ؟ .

عمـر : إن الخلافة قد شغلتنى زمنا عنك وعن القيـام بحقك ، فهل لك أن تجعلينى فى حل ؟ .

فاطمة : [تبكى] ويحك ياأبا عبد الملك ! أفى هذا تكلمنى ؟ إنى لأرجو بذلك ثواب الله والدار الآخرة . ولئن شغلت عنى بأمر المسلمين لطالما عنيت بى ياعمر فى أيامنا الأول ! .

عمـر : أجل . وددت لو بقينا يافاطمة كما كنا ، ولم يطوقنى بها أخوك سليمان ! .

مسلمة : ياأمير المؤمنين والله ماأعرف لأخى سليمان من عمل أرجى له عند الله من ذلك . لقد والله أرضيت الله وأرضيت المسلمين عنا ، وبيّضت وجوهنا آل مروان ! .

عمـر : ويحك يامسلمة إنما ذلك يوم القيامة ، يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ، وما أرى آل مروان إلاّ ساخطين علىّ .

مسلمة : لئن ضاقوا ببعض شدتك عليهم إنهم بعدُ ليفخرون بك .

عمـر : بأوَ [1] الجاهلية الجهلاء ! ويلهم ! أما والله لأ كونن حجة عليهم يوم القيامة !

مسلمة : صدقت . إن شئت يا أمير المؤمنين اقتصصت لك من غريمك فيهم ولو كان ..

عمـر : على رسلك يا مسلمة لا تداورنى ويلك ! إنه لا غريم لى فيهم ولا فى غيرهم . أم تريد إغضابى ؟

مسلمة : معاذ الله يا أمير المؤمنين ما أبتغى غير رضاك

فاطمة : سامح أخى يا أمير المؤمنين فإنه ليحبك

عمـر : وإنى لأحبه يا فاطمة ، وأقدر جهاده فى سبيل الله وحسن بلائه .

[يقرع غصين الباب مستأذناً]

مسلمة : هذا غصين يا أمير المؤمنين .

عمـر : ادخل يا غصين .

[يدخل غصين حاملا صرة كبيرة]

عمـر : أتيت بالوديعة يا غصين ؟

---

(١) البأو : الزهو والفخر .

غصين : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : أشتهى أن أساره مرة أخرى فهل لكما . . . . .

مسلمة : حباً يا أمير المؤمنين [يخرج وفاطمة]

عمر : هلم ادن مني واخفض صوتك . أهذه الألف الدينار ؟

غصين : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : وددت يا غصين لو أدع هذه اللماعة لك لولا خشيتى أن تلتهب عليك ناراً يوم القيامة . فهل لك فى خير من ذلك : أن أعيدها إلى بيت مال المسلمين ؟

غصين : افعل ما ترى يا أمير المؤمنين . إنى والله ما أريدها ، وما فى الدنيا والله أبغض إلى نفسى منها .

عمر : بوركت ياغصين . ما أرى إلا أن الله قد شاء أن يتوب عليك . امض الآن فأنت حر لوجه الله .

غصين : [يبكى] أوَ تعتقنى يا أمير المؤمنين ! !

عمر : نعم . . . اذهب حيث شئت . . . حيث لا يعرفك أحد .

غصين : ألا أبقى ياأمير المؤمنين فى جوارك وخدمتك !

عمر : ويحك ياغصين ، ماتخدم من رجل محتضر ، إن أمسى فلن يصبح ، وإن أصبح فلن يمسى .

غصين : بل يبقيك الله ياأمير المؤمنين !

عمر : انطلق ويلك ولا تقم بين هؤلاء فيقتلوك . [يدخل مسلمة]

مسلمة : معذرة ياأمير المؤمنين . . لا ينبغى أن ينجو هذا الغلام من عقوبة ما اجترم [يأخذ بزند الغلام]

عمر : [غاضباً] ويلك يا ابن عبد الملك ، أوَ قد تسقطت نجواى ؟

مسلمة : لا والذى نفسى بيده ياأمير المؤمنين ؛ ولكن طرق سمعنا صوتك وصوته .

فاطمة : [تدخل] أجل ياأمير المؤمنين . لقد صدق مسلمة !

عمر : فلتكتما إذن ماسمعتما ، فإنى قد سامحته وعفوت عنه . خل عنه يامسلمة فقد عتقته لوجه الله .

مسلمة : لا والله ياأمير المؤمنين ، لا يكون جزاء العبد الغادر أن يعتق لوجه الله . لابد من أخذه بجريرته .

عمر : [فى لين] ويحك يامسلمة ، إن أخذت الغلام بجريرته ، فليحقن عليك أن تأخذ الاخرين بجريرتهم كذلك ؛ فلتكونن فى بنى أبيك فتنة لايعلم عاقبتها إلا الله .

مسلمة : لابأس ، فليكن وقودها من يكون !

عمر : [متوسلاً] أنشدك الله يابن عمى ألّا تعصى أمرى فى آخر يوم لى فى هذه الحياة الدنيا ! . كلمى أخاك يافاطمة ! .

فاطمة : أطع أمير المؤمنين يا مسلمة ، فإنه لينظر بنور الله . وما يكون لنا أن نسخطه وهو على هذه الحال !

مسلمة : [يرسل الغلام من قبضته] لأمير المؤمنين منا مايحب !

فاطمة : حوّل وجهك عنا ياغصين . . اذهب لابارك الله فيك !

عمر : بل غفر الله له وبارك فيه ! امض ياغصين واستغفر الله لى ولك !

[ينشج غصين هنيهة ثم يخرج]

عمر : [يئن متوجعا] وارأساه : وارأساه ! [يتهاوى على فراشه مغشيا عليه]

فاطمة : وى ! قد غشى عليه يامسلمة !

مسلمة : تجلدى ياأختاه . . إنما هى غشية ويفيق !

عمر : [يفتح عينيه كالمذعور ويهم أن يهب فلا يستطيع] مسلمة ! مسلمة !

مسلمة : لبيك ياأمير المؤمنين !

عمر : أين الصرة التى جاء بها غصين ؟

مسلمة : هى ذى ياأمير المؤمنين بين يديك

عمر : إنها ليست لى يامسلمة . إنها لبيت المال . . أوصيك أن تحملها إلى بيت المال

مسلمة : سأفعل ياأمير المؤمنين

عمر : جزاك الله عنى خيرا يابن عم . . وأنت يافاطمة ؟

فاطمة : [متجلدة] نعم ياأمير المؤمنين

عمـر : هل لك أن تحلّيني من كل حق لك عليّ ؟

فاطمة : [تبكى] قد فعلت ياأمير المؤمنين !

عمـر : جزاك الله عنى خيراً من زوج صـالحة ، أستودعك الله يافاطمة ! .

[يشخص ببصره إلى أعلى] اللهم رضّنى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك ؛

حتى لا أحب لما عجّلت تأخيراً ، ولا لمـا أخّرت تعجيلا . .

[يتهلل وجهه بالبشر فجأة] مرحباً مرحباً بكرام طيبين !

فاطمة : بمن ياأمير المؤمنين ؟

عمـر : بهذه الوجوه التى ليست بوجوه إنس ولاجان !

فاطمة : نفسي فداؤك ياعمر !

عمـر : [كأنه لم يع شيئاً مما حوله] تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين ! أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

[يردد مسلمة وفاطمة الشهادتين فى رقة وخشوع]

عمـر : [يصحو صحوة] غصين ! أين غصين ؟

مسلمة : [متجلدا] قد مضى لسبيله ياأمير المؤمنين .

عمـر : [بصوت ضعيف] الحمد لله ! [يتحشرج] اللهم اغفر . لعبدك غصين . . واغفر . . لعبدك . . عمر . . مع عبدك . . غصين !..

[يسلم الروح]

« ستـار »

الصراحة والمداجاة

لومٌ يعيذك من سوء تقارفه ... أبقى لعرضك من قول يداجيكا

وقد رمى بك فى تيهاء مَهلكة ... من بات يكتمك العيب الذى فيكا

« العتابى »

معالم رئيسية فى سياسة اقتصادية إسلامية
لمواجهة المشكلات الاقتصادية الحاضرة

للدكتور زكى محمود شبانه

مدرس الاقتصاد الزراعى بجامعة الإسكندرية

(٣)

الناحية التكافلية فى السياسة الاقتصادية الإسلامية

إن الإسلام لا يبغى مجرد سباق اقتصادى فى الحياة الاجتماعية على أساس تكافؤ الفرص وعدم التميز فحسب ، ولكن يريد أن يكون المتسابقون متعاونين متكافلين ؛ فمن لم يستطع المشاركة فى هذه المنافسة الاقتصادية وجب أن يرعاه المجتمع ، سواء كان أسرة ، أو وحدة بيئية ، أو أمة بأسرها . فجعل التكافل الأسرى فى الأسرة الواحدة ، ورتب ذلك على أساس التبعات مقابلة للحقوق : أى وزع المغارم والمغانم والواجبات والحقوق على أساس من العدالة ؛ فجعل فى الأسرة الواحدة نظام الوراثة يقابله نظام النفقة الشرعية : أى أن للميراث فرضية الإسلام على المنتفعين به ، ألا وهو النفقة الشرعية الواجبة . ولقد جمع الله تبارك وتعالى النظام الإسلامى الوراثى كله فى آيتين فقال تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين[١] » . وتمكينا لرابطة الأسرة

---

(١) النساء : ١١ — ١٢

سن الإسلام أن لا وصية لوارث ، ولا وصية غير الثلث وهو الحد الأقصى .

أما التكافل البيئى : أى فى الوحدات البيئية كالمدينة والقرية ، فقد قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائماً فقد برئت منهم ذمة الله » .

ولقد أفتى الإمام ابن حزم بأنه إذا مات رجل جوعا فى بلد اعتبر أهله قتلته ثم أخذت منهم دية القتل .

أما التكافل الإقليمى أو القومى فقد حملت رسالته الزكاة . وتؤخذ الزكاة بنسبة ٢,٥ ٪ سنوياً على الثروة المكدسة فى البلاد ، وعلى رأس المال المتداول فى التجارة سواء بسواء . أما فى الإنتاج الزراعى فتحصل على أساس ٥ ٪ أو ١٠ ٪ من الإنتاج المحصولى ، وبنسبة خاصة على الماشية تختلف حسب نوعها إذا زادت عن الحد الأدنى ، وتحصل الزكاة من إنتاج المناجم بنسبة ٢٠ ٪ من الناتج ؛ وينفق المتحصل من هذه الضريبة على الفقراء ، وعلى دفع الديون المعدومة على أفراد هذا الإقليم . وبهذه الصورة يتحقق ضمان اجتماعى كامل . وبالرغم من أن هذه الضريبة تعتبر ركنا أساسيا من أركان الإسلام فلقد بلغت مرونة هذا النظام الاقتصادى المتين أن ألغى هذا الركن تحت ضغط الظروف الاقتصادية ، ففى عام الرمادة بسبب القحط لم يرسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه جباته ليقبضوا الزكاة ، بل ترك الناس حتى يرتفع القحط ، فلما اطمأن الناس وعاد الرخاء بعث عماله فتقاضوا من القادرين حصتين : حصة عن عام الرمادة وحصة عن العام التالى ، وأعفى غيرهم ، ثم أمر أن ترد إحدى الحصتين على هؤلاء غير القادرين ، ويقدم العمال عليه بالثانية .

أما عن تأمين الدولة للطفولة وللقطاء فلقد بلغ النظام الاقتصادى الإسلامى الذروة بين النظم الاقتصادية العالمية جميعا من حيث السبق ومن حيث التنظيم ، ففى وقت كان العالم يسير فيه على غير هدى ، ولا يعرف للاقتصاد ولا للكفالة الاجتماعية معنًى ، فرض عمر بن الخطاب لكل مولود مائة درهم ، فإذا ترعرع بلغ مائتين . أما اللقيط ففرض له مائة درهم ، ولوليه كل شهر رزقا يعينه عليه ، ثم يسوّى عند كبره بسواه من الأطفال .

أما عن تأمين الدولة لليتيم فلقد وصى القرآن والحديث باليتيم توصية شديدة ، تضمن له تأمينا كاملا وكفالة تامة ؛ فالحق تبارك وتعالى يقول : « أرأيت الذى يكذِّب بالدين ، فذلك الذى يَدُعُّ اليتيم ، ولا يحضُّ على طعام المسكين» . ويقول سبحانه وتعالى فى مكان آخر : « وأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدِّث » .

الناحية الاستهلاكية فى السياسة الاقتصادية الإسلامية

الاستهلاك أو الاستنفاد عبارة عن استعمال السلع والخدمات الاقتصادية استعمالا مباشرا وبصفة نهائية لسداد رغبات الإنسان وإشباع مشتهياته ؛ فالاستهلاك ما هو إلا تدمير المنافع الاقتصادية المتولدة عن الإنتاج ، وهو الهدف الرئيسى الذى تهدف إليه جميع الأعمال الاقتصادية . فالعمل الاقتصادى المنتج ليس هو النهاية إنما هو الوسيلة للاستهلاك ؛ فالغرض الأساسى من الأعمال الاقتصادية هو إشباع رغبات المستهلكين . والمستهلك هو الذى يدفع الثمن وهو الذى يقود الإنتاج . فالإنسان ينتج ليستهلك ويستهلك لينتج وينتج ما يستهلك ويستهلك ما ينتج ، فالعلاقة والتأثير بين الإنتاج والاستهلاك متبادل . وهذا التبادل إن حسنا وإن سيئا هو أساس العلة الاقتصادية الكبرى التى تنحصر فيما يقوم بين الإنتاج والاستهلاك من فارق ، وفى انحطاط مستواها فى أى بنيان اقتصادى . وأهمية الاستهلاك فى علم الاقتصاد بفروعه معروفة تماما الآن ، حتى إن معظم الاقتصاديين اليوم يبدأون دراسة الاقتصاد بنظرية الاستهلاك والإنفاق ، ولم يعرف الاقتصاديون أهمية الاستهلاك والإنفاق للاقتصاد القومى فى الدراسات الاقتصادية إلا فى القرن التاسع عشر ، حيث بدأ جيرى بنتام فى أوائل القرن التاسع عشر بنظرياته ، ثم تلته المدرسة الاشتراكية[١] ، ثم أتت بعد ذلك مدرسة كينز الاقتصادية[٢] بعد أن أخرج نظريته فى التشغيل وفائدة رأس المال

---

1) Mitchell, Wesley., Lecture Notes on Types of Economic Theory: New York, Augustus M. Kelley, 1949.

2) Harris Seymour, E. (Ed.), The New Economics New York, Alfred A. Knope, 1947.

فى سنة ١٩٣٦[١] . ولكن سبق هؤلاء جميعاً بأكثر من ألف عام النظام الاقتصادى الإسلامى ، لحث الناس على استهلاك السلع والخدمات الاقتصادية ، وحرّم الكنز ؛ وذلك لتشغيل الجهاز الاقتصادى تشغيلا كاملاً مطابقاً فى ذلك لأحدث النظريات الاقتصادية . وفى ذلك يكرر الله تبارك وتعالى تعليماته فى مواضع كثيرة من القرآن محبذاً الإنفاق والاستهلاك ؛ ففى سورة الحديد يقول سبحانه وتعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلَفين فيه[٢] » وفى سورة النساء يقول : « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله[٣] » . وفى سورة المنافقون يقول : « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت[٤] » وفى سورة البقرة يقول : « ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولاخُلّة[٥] » وفى سورة الطلاق يقول أيضاً : « ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها[٦] » . ولقد فسر الحق تبارك وتعالى الإنفاق الاستهلاكى فقال : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين » وقال سبحانه وتعالى فى موضع آخر : « قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون[٧] » .

ولم يقتصر النظام الإسلامى عند تشجيع الاستهلاك والإنفاق ، ولكن وضع العلاج الصحيح للأزمات الاقتصادية من الناحية الاستهلاكية كأحدث ماوضع علماء الاقتصاد فى العصر الحديث . فعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ورددتها على الفقراء » وأيضاً حرّم الاحتكار مشجعاً الاستهلاك لعلاج هذه الأزمات ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المحتكر ملعون » ويقول أيضاً : « من احتكر الطعام

---

1) Keynes, J. M., General Theory of Employment, Interest and Money: New York Harcourt, Brace and Company, 1936.

(٢) الحديد : ٧ (٣) النساء : ٣٩
(٤) المنافقون : ١٠ (٥) البقرة : ٢٥٤
(٦) الطلاق : ٧ (٧) الأعراف : ٣٢

أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه » وفى رواية أخرى : « من احتكر الطعام أربعين يوماً فكأنما قتل الناس جميعا » وفضلاً عن ذلك ، فلقد سبق النظام الإسلامى جميع الأنظمة الاقتصادية بوضع نظام الضريبة التصاعدية تشجيعاً للاستهلاك ؛ فحين فرضت الجزية على الذميين فى عهد الخلفاء الراشدين جعلت الفئات الآتية :

١ — أغنياء : ويؤخذ منهم ٤٨ درهما عن كل شخص فى العام .

٢ — أوساط : ويؤخذ منهم ٢٤ درهما عن كل شخص فى العام .

٣ — فقراء يتكسبون : ويؤخذ منهم ١٢ درهما عن كل شخص فى العام .

ولا تؤخذ الجزية من مسكين يُتصدق عليه ، ولا من عاجز عن العمل ، ولا من مقعد ، أو مجنون ، أو ذوى عاهة على وجه العموم . ولا تجوز الجزية إلا على الرجال الأحرار العقلاء ، فلا جزية على امرأة أو صبى .

وفضلاً عن ذلك فإن السياسة الاقتصادية الإسلامية وضعت لعلاج الأزمات الاقتصادية من الناحية الاستثمارية العلاج الصحيح ، وهو منع الكنز والنهى عنه ؛ فالله تبارك وتعالى يقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون[١] » .

وهذه الطرق فى علاج الأزمات الاقتصادية التى يئن العالم منها ، ويرزح تحت أعبائها ، سواء كانت تشجيع الاستهلاك والإنفاق ، أو تحريم الكنز والاحتكار ، أو اتباع نظام الضرائب التصاعدية ، لم تذكر فى الدراسات الاقتصادية إلا بظهور المدرسة الكينزية فى عام ١٩٣٦[٢] .

خاتمة

لقد استعرضنا فى هذا البحث مجملا للخطوط الرئيسية فى السياسة الاقتصادية

(١) التوبة : ٣٤ — ٣٥

(2) Keynes, J. M., General Theory of Employment, Interest and Money: New York; Harcourt, Brace and Company, 1936.

الإسلامية فى معالجة المشاكل الاقتصادية ، ولا أظن أنها تختلف كثيراً عن الآراء الاقتصادية المصرية ، اللهم إلا اختلاف بيئى أو زمنى . وتحقيقاً لتكوين بنيان اقتصادى إسلامى سليم لابد من رسم سياسة اقتصادية سليمة مفصلة ، يشترك فى رسمها جميع الإخصائيين فى فروع علم الاقتصاد المختلفة ، لوضعها وتفصيلها ، ولتحقيق سعادة كاملة وعدالة واسعة ورفاهية حقيقية ، تجتمع فيها خلاصة الفكر الاقتصادى فى تطبيق مبادىء السماء لوضعها أمام نظر قادة الرأى وأصحاب التوجيه للاستفادة بها فى وضع السياسة الاقتصادية للأمة . ولذلك أرى من واجبى فقط أن أقدم بعض مقترحات تحمل بين طياتها وجهة النظر الإسلامى ، تستحق الدراسة عند وضع مثل هذه السياسة الاقتصادية الإسلامية :

١ — رسم نهج اقتصادى كامل للإنتاج القومى عن طريق الشركات التعاونية ذات الأسهم ، بشرط أن تكون تحت إشراف حكومى كامل ، مع ضمان حكومى لقيمة الأسهم الاسمية للأفراد .

٢ — وضع سياسة للإنتاج الزراعى والصناعى على ألا تكون الملكية سببا فى وجود طبقات متفاوتة ومتعارضة فى الحياة الاجتماعية بين الموارد الإنسانية ، وأن يكون استثمار الموارد الطبيعية مبنيا على أساس تعاونى يؤدى إلى الحصول على أكبر دخل قومى : أى أنه لا وجه لحق لمن يزعم أنه حر التصرف مطلق اليد فيما يملك من الأرض .

٣ — الاتجاه نحو تأميم البنوك ، وذلك لتمويل الأعمال الاقتصادية الإنتاجية والتسويقية الفردية : أى أن التمويل يكون عن طريق البنوك الحكومية ؛ كبنك التسليف الزراعى ، وبنك التسليف الصناعى ، على أن تكون أسهم هذه البنوك كلها حكومية ، وأن تكون الفائدة التى يأخذها البنك على المديونية هى أجور ومصاريف التسليف فقط . وهذه البنوك تمول الوحدات الإنتاجية الزراعية والصناعية والتجارية الداخلية والمحاصيل الموسمية .

٤ — إدخال نظام الضرائب التمويلية على الإنتاج والتسويق بعوض البنوك الحكومية عن الفوائد التى تستحق على القروض الإنتاجية والتجارية .

٥ — إعادة تنظيم البنوك التجارية وربطها بالمستوردين والمصدرين فقط ، على أن تقدم الحكومة المساعدات المالية التى يريدها اتحاد المستوردين . وليس هذا بغريب فإن معظم دول العالم تتجه نحو التجارة الدولية الحكومية State Trading وفى بعض الدول الأخرى تقدّم الحكومات مساعدات مالية كبيرة لاتحاد المستوردين بها .

٦ — جعل النظام التسويقى الصناعى والزراعى تحت إشراف الدولة . وليس هذا بدعا فإن قانون التعديل الزراعى الأمريكى لعام ١٩٣٣ وتعديلاته جعل التسويق الزراعى الأمريكى تحت إشراف الحكومة الأمريكية التام ، والقانون الزراعى لعام ١٩٤٧ بإنجلترا جعل الحكومة تقوم بشراء معظم الزروع ، بل إن التجارة الحكومية الداخلية والخارجية أصبحت تعتبر من السياسات الأساسية لمعظم حكومات العالم اليوم .

٧ — إنشاء شركة تأمين حكومية كاملة تُدفع لها الزكاة ، تقوم بالتكافل الاجتماعى العام للأمة بأسرها .

٨ — الاتجاه بالسياسة الضرائبية نحو الاتجاه التصاعدى ، وفرض ضرائب على الكنز (الأموال غير المستثمرة) وضرائب على الكماليات كالذهب والفضة والحرير وما صنع منها . وهذه الضرائب أصبحت أساسا لجميع الأنظمة الضرائبية المصرية

٩ — تحريم ومنع الأعمال غير المنتجة كالميسر وأوراق اليانصيب والسباق والمضاربات التسويقية والاحتكار .

وختاما فهذه صورة لا أقول إنها مفصلة للأسس التى بنى عليها الإسلام نظامه الاقتصادى فى مجتمع لا أكون خاطئا إذا قلت إنه كان بدائيا ، ولكن هذا المجتمع وضع لنا أسسا لبنيان اقتصادى سليم متكامل متكافل .

إذا هبت ريح الإيمان

لسماحة الأستاذ السيد أبى الحسن الندوى

وكيل ندوة العلماء بالهند

مهلا يا أخا الأفغان !

رجع المسلمون من ساحة القتال فى مهيار ظافرين وقد أغبرت وجوههم وثيابهم بالنقع حتى تقنعت وجوههم وتنكروا .

وقام الرئيس بهرام خان بالمنديل لينفض النقع عن وجه السيد الإمام ، فقال السيد مهلا يا أخا الأفغان فإن هذا النقع هو الغبار الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم[1] » وما جئنا إلى هنا وما تحملنا المشاق إلا لأجل هذا الغبار ، فهلا يا أخا الأفغان مهلا !

ومكث المجاهدون ولم ينفضوا عنهم الغبار فى ذلك الحين .

* * *

أمانة العدو

خرج فتح على من عسكر المجاهدين فى نيجتار إلى مدينة بشاور للعلاج ، واتفق نزوله عند ضابط من ضباط سك والحرب قائمة بينهم وبين المسلمين .

قال الضابط : من أين أنت يا أخا المسلمين ، وكيف أقبلت ؟ ! أخبرنى بشأنك ولا تخف .

قال فتح على وقد تشجع وتجلد : إنما جئت من الهند مع الأمير السيد أحمد وأنا رجل من المسلمين فى جيشه .

وإن رجاله أيها الرئيس قوم لا يكذبون أبداً ، ولا يخدعون أحدا ، صديقا كان أو عدوا ؛ فإن الأمير أدبهم هكذا ، وإن الأمير أيها الرئيس صاحب أخلاق عالية ،

---

(١) فى السنن .

صاحب كرم وسخاء وفتوة ومروءة ، صادق الوعد ، محافظ على العهد ، وإن اللسان ليعجز عن وصفه . وتكون مسروراً جداً إذا قابلته ، وهو ولى من أولياء الله فمن آذاه آذنه الله بالحرب .

قال الضابط : صدقت يا أخا المسلمين ، وقد سمعت عن صاحبك من قبلُ ما شوقنى إلى لقائه ، وأنا أنوى زيارته وأنتظر أن يرجع أخى من لاهور ، فإما أن أزوره أنا أو أرسل إليه أخى .

وتحدث معى يا أخا المسلمين كل يوم فى السر عن صاحبك ، فإنى أريد أن أسمع عنه كل يوم .

قال فتح على : إن الأمير أيها الرئيس صاحب شهامة وكرامة ، وهو من دماثة الخلق ولين العريكة ، بحيث إذا رآه أحد وجلس إليه ما أحب أن يفارقه . وسأرجع إن شاء الله بعد أربعة أيام أو خمسة ، وبودى أيها الرئيس أن أتفرج مرة على قلعة خير أباد وقلعة أتك ، فإن الناس يسألوننى عنهما ولا أدرى بماذا أجيبهم .

قال الضابط : عجبا لك يا أخا المسلمين ، أنتم حرب لنا ومن أنصار عدونا الأمير السيد أحمد ، فكيف تجسر على هذا الكلام ، وتقترح على أن أمكِّنك من زيارة قلاعنا الحصينة ، والاطلاع على مراكز قوتنا ومخازن سلاحنا ، ألا تخاف ؟

قال فتح على : وماذا أخاف أيها الرئيس ؟ إن أصحاب الأمير لا يخافون إلا الله ، وقد أنست منك كرماً ورجوت أن أزور بواسطتك تلك القلاع .

ضحك الضابط وقال : لا تجد يا أخا المسلمين علىَّ فى نفسك ، فإنما قلت ذلك عن دعابة ، وسأكتب لك كتابا تسلمه إلى الحارس فيسمح لك بالدخول .

ودعا الضابط بالقلم والدواة ، وكتب توصية إلى صاحب الحرس وسلمه لفتح على ، وذهب فتح على وأذنوا له بالدخول ، فدخل فى القلعة فطاف فى نواحيها .

ورجع فتح على فى آخر النهار فوجد مضيفه الضابط سكران يهذى ، وفى عنقه عقد ثمين من ذهب ، وفى أذنه قرط من ذهب ، وبجانبه سيف قبضته من ذهب .

ولما رأى فتح على قال : أزرت قلعة أتك يا أخا المسلمين ؟

قال فتح على : نعم . وغلبت الضابط عينه فنام .

قال فتح على : وبقى الضابط نائما وخفت أن يدخل بعض اللصوص — وهم فى هذه الناحية كثير — فيأخذوا سلاحه وماله وهو نائم لا يشعر .

قال : فأخذت هراوة وطفقت أدور على الباب وأحرس البيت .

واستيقظ الضابط فى نصف الليل ، فرآنى أدور وأحرس ، فقال : ألا تزال يقظان يا أخا المسلمين ؟ .

قلت : نعم كنتَ سكران نائما وهذه أموالك مطروحة هنا ، فخفت أن يدخل بعض اللصوص ويأخذها ويصل إليك مكروه ، فقمت أحرس .

وأنت أيها الرئيس ضابط كبير لا يجمل بمثلك أن يذهب الخمر بلبه ، ويبقى غافلا لا يشعر .

قال : صدقت يا أخا المسلمين فإن من العيب أن يقع من مثلى مثل هذا ، وحملته عينه فنام .

قال فتح على : ولما كان الصباح وارتفع النهار أخذنى معه إلى قلعة خير أباد ، وتفرجت عليها ورجعت .

ولبثت معه ثمانية أيام ، وكان يسألنى كل يوم عن أخبار السيد الإمام وأخبره بحديثه . وذات يوم قال لى : يا أخا المسلمين قد نصحت لى ذلك اليوم فى شأن الخمر ، وقد تبت اليوم من إكثارها حتى لا أشعر بشىء .

قال فتح على : ورجعت إلى المعسكر آمناً .

***

لماذا شطبت اسمى ؟

عزم السيد على إرسال بعثة من المجاهدين تغير على العدو ليلا وتبيتهم ، وكانت أول بعثة تفتتح الجهاد فى سبيل الله فى الهند على فترة طويلة من الغزوات الدينية .

وأمر السيد الضباط أن يختاروا من العسكر شبانا أقوياء ذوى جلادة وقوة ، لأنهم يستقبلون عدوا قويا وجيشا كثيفا فى جنح الليل .

قدّم الضباط أسماء المجاهدين ونظر فيها السيد فإذا فيها اسم عبد المجيد خان الجهان آبادى ، وكان مريضا يشتكى الحمى فشطب اسمه .

وسمع عبد المجيد أنه شطب اسمه وسحب من المبعوثين ، فجاء إلى السيد يهرول وقال له :

لماذا شطبت اسمى يا سيدى ؟

قال السيد : لأنك مريض ! ولا ينوء(١) بهذا العمل الشاق إلا قوى صحيح .

قال عبد المجيد : هذا أول يوم يفتتح فيه الجهاد فى سبيل الله فى هذه البلاد ، فيعز علىّ أن أتخلف عن أول مشهد يشهده الناس فى سبيل الله ؛ فمن فضلك أعد اسمى واسمح لى بالخروج .

وحبّذه السيد الإمام وحيا فيه الهمة العالية والغيرة الدينية ، وقال جزاك الله خيرا ، وتقبل نيتك وعملك .

وخرج المجاهدون وخرج فيهم عبد المجيد خان إلى أكوره على مسافة قريبة من — بشاور — وبيتو العدو وهو أكثر منهم عشر مرات وكسروه ، وانتصروا عليه ، واستشهد عبد المجيد خان فى المعركة .

* * *

كيف أقوم أمام ربى

صلّى الشيخ العصر فى أول وقته على عادته وخرج مع تلميذه يتوكأ على عصاه ، ويتعب بعد خطوات فيجلس على كرسى يحمله تلميذه ويستريح ، ثم يقوم ويمشى ويتعب ويجلس ، ثم يقوم ويمشى حتى وصل بعد جهد وعناء إلى طبيب شهير فى البلد وجلس ينتظر خروجه ليشكو إليه أمراضه ويأخذ منه الدواء .

بقى الشيخ ينتظر الطبيب حتى اصفرت الشمس وتفارط العصر ، فخرج الطبيب فإذا به لم يصلّ العصر بعد ، فكبر على الشيخ أن يكون المسلم لم يُصلّ العصر إلى هذا الوقت ، ولاعهد له إلا بأن المسلمين يصلون الصلوات فى أوقاتها ، وأن المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا رأى الشمس اصفرت قام فنقر أربعاً ، لا يذكر الله فيها إلا قليلا .

ولكن الشيخ صبر وتحمل ذلك وقال لعل للرجل عذراً حبسه عن الصلاة .

---

(١) ناء بالحمل : نهض به ، وناء من الحمل : مال به إلى السقوط

خرج الطبيب ودخل المسجد وقام يصلى ، ولكن قضى الشيخ العجب لما رآه يصلى متوجهاً إلى بغداد ويصلى الصلاة الغوثية .

عيل صبر الشيخ واستشاط غضباً وقال لتلميذه : هيا بنا ننصرف !

رفع التلميذ الكرسى وناوله العصا ، وخرجا يمشيان . ولكن التلميذ لم يملك نفسه وسأل الشيخ عن سبب الرجوع وقال له :

ياسيدى ، لم أفهم لماذا قمت من هنا ولم نقض حاجتنا : وصلت بعد جهد وعناء ، وانتظرت طويلاً حتى إذا خرج الطبيب وحان أن يجسَّ يدك ويصف لك الدواء أمرت بالرجوع ولم نقض منه وطراً . فتل الشيخ أذنه وقال : ياأبله ! أما رأيته يصلى إلى بغداد ؟

قال التلميذ : نعم . ولكن مالنا ولصلاته إلى بغداد أو إلى غير بغداد ، وإنما جئنا نستعين به فى صناعته ؟

قال الشيخ : ياقليل العقل ، إذا استعنتُ به فى صناعته وضربتُ عن صلاته وعقيدته صفحا ، فكيف أقوم الليلة أمام ربى وأقول فى الوتر : « ونخلع ونترك من يفجرك » ؟ وهل فوق الشرك فى العبادة فجور ؟

* * *

نحن قوم لا نذّخر

دعا الوزير معتمد الدولة فى لكهنؤ السيد الإمام أحمد بن عرفان ورفقته وهم أكثر من مائة ، وصنع ألواناً من الطعام فأكثرَ وأطابَ .

وجلس أصحاب السيد على مائدة ملوكية فاخرة ، ووضع أمام كل واحد مقدار كبيرٌ من الطعام ، ونودى فيهم « لكل واحد أن يأكل ما يأكل ، ويحمل الفضل إلى بيته فهو ملك له » .

أصاب الناس من الطعام وأكلوا حاجتهم ، ثم قاموا ولم يحمل أحد منهم شيئاً .

تعجب الوزير وتعجب أصحابه ، وقالوا للضيوف — وكثير منهم فقراء لم يأكلوا مثل هذا الطعام — مابالكم لاتحملون نصيبكم مع أنه مِلك لكم ؟

قالوا : إنّا قوم لا ندخر ، والذى أطعمنا فى النهار يطعمنا فى الليل ؛ وفى السماء رزقكم وماتوعدون .

تعجب الوزير من هؤلاء الناس وقال : لم أر أمثال هؤلاء شهامة وعلوّ همة ؛ ولاشك أن خير الغنى غنى النفس .

* * *

من يحول بينى وبين الصلاة ؟

أسر الضابط الإنكليزى بارسن الشيخ محمد جعفر التهانيسرى ، وقيده بقيود وسلسله بسلاسل ، لأنه بطل ثورة ضد الحكومة الإنكليزية فى الهند ووكيل الثوّار ، يراسلهم ويرسل إليهم النقود والمتطوعين من داخل الهند إلى حدوها الشمالية الغربية ، والجالية الإنكليزية فى الهند وعمال الحكومة البريطانية يحرقون عليهم الأرّم ويتميزون عليهم غيظا . ومن أشدهم حنقاً هذا الضابط الإنكليزى الذى ألقى القبض عليه ، وهو الآن فى طريقه إلى أنباله حيث يحاكم محمد جعفر مع زملائه المتهمين فى هذه القضية الذين اشتركوا فى هذه المؤامرة الواسعة .

ركب الضابط وركب محمد جعفر فى مركبة من مراكب الخيل ، وجلسا جنباً لجنب وفى يد الضابط مسدس قد صوّبه إلى محمد جعفر .

حضرت الصلاة فقال محمد جعفر : هذا وقت الصلاة وإن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ، فخلنى أتوضأ وأصلى .

قال الضابط : كلا !

وسكت محمد جعفر وعاد مرة ثانية وقال : قد أرهقتنى الصلاة والصلاة فريضة على المسلم ، فدعنى أتوضأ وأصلى .

قال الضابط : أبداً ! وإن تحركت أطلقت عليك النار .

قال محمد جعفر : ومن يحول بينى وبين الصلاة ؟ ها أنذا أصلى واصنَعْ ما بدا لك .

وتيمم محمد جعفر ، وافتتح الصلاة جالساً والضابط ينظر ولايدرى ماذا يصنع وقد حضر العبد بين يدى ربه ، وبدأ يناجيه ويكلمه ، فمن يحول بينه وبين الله ؟

أيها المحلفون !

(٧)

الخـــاتمة

. . . بعد تلك المشادة العنيفة بين مولانا محمد على ورئيس المحكمة — وقد نشرنا ترجمتها فى العدد السابق — ختم محمد على مرافعته التاريخية بما يلى : —

أيها السادة :

لست أدرى إذا كان الجندى ممنوعاً من تحكيم تقاليده الخاصة أمام واجباته العسكرية ، فإن هذا النموذج (قائمة الأسئلة الخاصة بالتطوع) يحوى مجرد سؤال بخصوصها ، ولا ندرى ماذا يحصل للمتطوع الذى يجيب عليه بالإيجاب معتبراً تقاليده الخاصة .

كتب دانتى[1] فى « الجحيم » وكذلك أورد ملتون[2] فى كتابه « الفردوس المفقود » أنه مكتوب على باب جهنم هذه العبارة : « على كل من يدخل هنا أن يترك كل عقيدة خلفه » ولقد قال المشير الألمانى[3] فى مناسبة مشهورة : الحاجة لا تعرف القانون ! وهانحن نرى الذين يندددون بهذه القاعدة غير القانونية يعاقبون كخارجين على القانون !

إن كل ما نريده أن تكون الحكومة شريفة مستقيمة فى هذا الشأن . إن الناس ينضمون إلى الجيش حالياً وعيونهم مغشاة . ونحن نريد أن نزيل هذه الغشاوة

---

(١) شاعر إيطالى فى القرون الوسطى .

(٢) شاعر إنجليزى

(٣) بسمارك .

عن العيون ليدخل الجيش من يدخل وهو يعلم أن شريعته وتعاليم دينه لن يكون لها فيه أى اعتبار ، وستهدر ضحية لمولوخ(١) المطالب العسكرية المسعور . وإن نداء الملكة وإعلانى الملك لن تقدم لهم أية حماية ، وحينئذ لايلوم الحكومة أحد ، والذنب من بعد ذنب أولئك الذين يعلمون كل ذلك ثم يتطوعون فى الجيش !

ثم ، ما الذى تطلبه الشريعة الإسلامية اليوم ؟ إنها لا تلتمس حماية فى القانون الملمانى ، إذ لا تطالب بالضحايا البشرية . إننى لا أقول : اقتلوا ضباطكم رمياً بالرصاص ، لا ، بل على العكس ، إننى أطلب ألاّ تتيحوا لهم اقتراف جريمة قتل الأخ لتقديم القرابين البشرية من إخوانهم المسلمين . إننى لم أمانع عندما أخذتموهم فى بداية الحرب لقتال الألمان فى أن يقاتلوا معكم ، وكذلك لا أقول إن وقع اضطراب فى كراتشى وأخل السلمون بالأمن يجب على الجندى المسلم ألا يذهب للمحافظة على النظام . . .

لقد ورد فى هذا النموذج جميع أنواع الأسئلة ، ويقول النموذج : « الأسئلة التسعة التالية » . . . إلا أن هناك فى الحقيقة أربعة عشر سؤالاً لا تسعة (يقرأ الأسئلة)

إننى لا أدرى ماذا يحصل إن أجاب المتطوع أنه يأبى أن يطعّم بلقاح الجدرى البقرى كما قد يفعل بعض الهندوك باعتبار اللقاح أو الليمفا من البقر ، ويعلن المتطوع بأن إجاباته صحيحة ، وأنه مستعد للقيام بالواجبات المطلوبة دون بيان هذه الواجبات !

ولنفرض أنه عبّر عن رضاه بأن يحقن بلقاح الجدرى وأن يذهب حيثما يؤمر براً أو بحراً ... إن السؤال الخامس عشر الذى كان يجب أن تضمه القائمة : « هل أنت مستعد لأن تفعل أى شىء تؤمر أن تفعله ، وألا تدع تعاليم دينك تتدخل فى واجباتك العسكرية ؟ هل أنت عازم على إغفال أمر الدين ؟ » . . . لا أرى مثل هذا السؤال فى هذا النموذج . . . إن أجاب المتطوع عليه بنعم ، فلا بأس ، وإذا لم يقبل فلكم أن ترفضوه ، ولكنكم لا تسألونه هذا السؤال ، ولا تستطيعون أن تفعلوا ذلك لما فيه — حسب رأيكم — من الصرف والفتنة عن الواجب ، ولقد قلت آنفاً إن واجبه الأول طاعة الله ، ثم بعد ذلك يلتزم للوطن والملك .

---

(١) سبق أن قلنا إن مولوخ إله العمونيين ، وكانت تقدم إليه القرابين من البشر .

أيهـا السادة المحلفون !

إن نداء الملكة قد جاء كما تعلمون على أثر مسألة الذخيرة المشحمة بدهن الخنزير والتمرد بسببها . وإنما كان ذلك النداء لتفنيد زعم ذلك الشمول غير المحدود لما تعنيه « الواجبات العسكرية » المقررة سنة ١٨٥٨ . ولكن ، ما أهمية قطع غلاف الذخيرة المشحم بدهن الخنزير بالأسنان ، أو حتى أكل خنزير بكامله بالنسبة إلى خطيئة قتل المسلم ؟ !

لقد قلت فى مذكرتى للمحكمة الابتدائية ولا أزال أكرر : إنه إذا أكره المرء تحت وطأة التهديد بالموت على أكل لحم الخنزير فليس له فقط أن يأكل اللحم ، بل يتحتم عليه حينئذ أن يأكله ، وإذا قتل لرفضه قتل خاطئاً . وكذلك يستطيع أن يعلن أنه كافر ما دام قلبه مطمئن بالإيمان ، والخير ألا يفعل ، فإذا قتل لإصراره على الرفض مات شهيداً ؛ غير أنه لا يستطيع أن يقتل أو يجرح مسلماً ولو أكره على ذلك ، وعليه أن يمتنع ولو أدى تمنعه إلى قتله .

إنكم لا تستطيعون أن تطلبوا من مسلم مسّ الذخيرة المشحمة بدهن الخنزير باعتباره من واجبه العسكرى لما خبرتم سنة ١٨٥٨ ولنداء الملكة سنة ١٨٥٨ ، ثم لا تزالون تدّعون أن من الواجبات العسكرية قتل المسلمين الذى هو أشد فظاعة بدرجات من أكل لحم الخنزير ، بل من التظاهر بالارتداد عن دين الإسلام ! إن إغفال مثل هذا السؤال الذى اقترحت يعنى أن الحكومة تعلم ما يؤدى إليه ، لذلك فإننا نعتبر أن من واجبنا تذكير الجندى المسلم بواجبه أمام الله ، وأن نطلب من المسلم أن يطبق شريعة الله ، وليس يعتبر ذلك صرفاً له عن واجباته فى الجيش على أى حال ، فإنه لا يحتاج لذلك أن يترك واجبه أو أن يقصر فيه ، وكل ما هنالك يطالب ضباطه المسئولين ألا يطالَب بتنفيذ الواجبات المعينة التى لا يقرها الإسلام . . . وعلى ذلك فليس هناك احتمال ، ولا قصد لصرف الجنود عن واجباتهم .

أيها السادة المحلفون !

إننى لست حريصاً على الإفراج عنى ولا على الدفاع عن نفسى . إننى لا أقوم بأى دفاع ، ومع ذلك فعلىّ أن أوضح لكم قانون الإسلام وعلاقته فى الوضع الذى اتخذناه . إننى لم أناقش شهود الإثبات ، ولم أقدم أدلة النفى بالنسبة لشخصى ،

ولكنني أريدكم ، وأنتم في الأعم الغالب من بني وطني ، وإن كنتم تتعاونون مع هذه الحكومة ، أن تعتبروا ذلك . لقد أجريتْ في تاريخ العالم محاكمات هامة ، وكثير من العظماء حكم عليهم بتهم متعددة . وفي التاريخ الإنجليزي نفسه قتلت جان دارك إذ حكم عليها بأنها ساحرة . ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ إن تمثالها الذهبي منصوب أمام الفندق الذي كنت أسكنه في فرنسا . وقد أقامت لها الكنيسة الكاثوليكية لما كنت هناك قداساً برئاسة البابا وكلية الكاردينالات ... وأحفاد أولئك الذين حرّقوها ماذا فعلوا ؛ لم اشترك الجيش البريطاني مع الفرنسيين في إحياء ذكراها ، ووضع أكاليل الزهور على تمثالها ؟ . . . إني رأيت بنفسي ذلك الاحتفال . . . لقد كان جورج وشنطن ثائراً شقياً في زمن جورج الثالث ، فما هي نظرة الحكومة البريطانية إليه اليوم ؟ . . إنه أخلص وطني !

أحب أن أوجه ملاحظة أو ملاحظتين ، خصوصاً للإنجليزي الوحيد في المحلفين . إن الأفراد الإنجليز غير ملزمين باتّباع أغلبية مواطنيهم ، خصوصاً في الظلم والزيغ عن الحق . لقد كانت الأقلية خلال التاريخ الإنجليزي كله في الغالب في جانب الحق ، ولم تزل الأقلية دائماً هي التي تبدأ الحركات الإصلاحية العظيمة ، إذ لم تبدأ قط أكثرية عملاً لهدف مجيد .

إنه لم يكن بيلاطس الذي حكم عليه بالصلب ، لقد كان المسيح عليه السلام ، وقد كان بيلاطس القاضي الذي حكم بصلب المسيح . ولكن من الذي ينطق بالحكم الآن ؛ ومن ينطق بالحكم فيما بعد ؟ . . هناك ، في الآخرة ، يوم الدين سيقضي الله بحكمه على بيلاطس الذي ضل سبيل الحق . ولكن أين بيلاطس الآن ؟ من ذا الذي يذكره . . . قاضي الصلب العظيم . . إلا لحكمه بصلب المسيح ؟ إن المسيح الآن في نظر الملايين من البشر هو المخلّص . ولكن ، من أكون — أيها الفرد المتواضع — حتى أقارن نفسي بالسيد المسيح . . أنا الذي لست أهلاً حتى لإزالة الغبار عن قدميه ! ولكن كما قال الشاعر :

لا يلزم الضعف ، أن يكون خداعاً

فالصدق صدق في كل درجاته

بقدرة الله دوّى الرعـــد للطبيعة ،
وهمس بواســـطة روحى إلىّ[1] .

وفى دوىّ مدافع الهوتزر البريطانية همس الصوت الهادى الضئيل المنبعث من روح رجل متواضع فى أذنه — الروح الإلهى نصير الحق — هذه القطعة الصغيرة من الصدق :

إنه يجب ألا يقف مكتوف اليدين ينظر إلى المسلمين يقتلهم المسلمون رغم نهى الله الصريح ، ولا بد أن يدعو لوقف ذلك ، وينادى بالحق لا يرهب أحداً من البشر أو يهاب ضروف الحياة الدنيا .

أيها السادة ، خذو شهداء كربلاء مثلاً آخر : لقد كان مع حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وسبعون رجلاً فقط ، وكان جيش يزيد يُمد بالآلاف ، وقد قتلوا الحسين حينئذ إذ كان فى قلة ، إلا أن السخط لا يزال فى النفوس على ذلك الفعل الشنيع — فعل الحكومة صاحبة السلطان — منذ ثلاثة عشر قرناً . إن كل مسلم يهتز بالعاطفة لشهيد كربلاء ، وليس ليزيد المنتصر المزهوّ ، الذى لا يعرف له قبر فى أى مكان .

وهكذا أيها السادة ، لا تفكروا فى آثار قراركم اليوم أو غداً ، ولكن فى آثاره فى المستقبل فى حرية البشر ، وكذلك فى العالم الآخر يوم الحساب . يجب أن تحتكموا لأنفسكم ، إذ لا يغنى عنكم أحد من رؤسائكم . . . إن لويد جورج لا يغنى عنكم شيئاً ، فسيحاسب الله لويد جورج عن نفسه لا عن أنفسكم ، ولعله يطالبه بالكثير . . . وسيسألكم الله كذلك عن أنفسكم فرادى ولا يسألكم عن غيركم ! أما إن كنتم تعتقدون اعتقاد الهنود بالعقاب فى الحياة الدنيا فى دورة تناسخ الأرواح ، فيجب أن تذكروا أنه بموجب عقيدتكم سينفذ حكم الله فيكم فى هذه الحياة الدنيا ، وستحاسبون ساعة تترك روحكم منزلها من جسدكم لتلتمس منزلاً آخر . . . ومهما كانت عقائدكم ، فليس الحكم النهائى لكم ، كما أنه ليس للقاضى ، إن الحكم إلا لله العلى الكبير .

(1) Weakness never need be folsness,
Truth is truth in each degree,
Thunder pealed by God to Nature,
Whispered by my soul to me.

أيها السادة ، لقد أخذت كثيراً من وقتكم . . أكثر بكثير مما قصدت أو مما كنت آخذه لو لم أكن أقاطع أو أوقف باستمرار . وكما قلت فى بدء كلامى ، لو كان الأمر دفاعاً عن نفسى كفرد أو عنا كمتهمين فقط لما ترافعت هذه المدة الطويلة وبهذا الإصرار . إننى لا أبتغى تفادى العقوبة ، فإن السجن هو سبيل حرية الهند الوحيد . . ولو أردت دحض الادعاء بكامله لأثبت براءتى بحسب مواد هذا القانون نفسه — القانون الأرضى المزعوم — لكان بوسعى أن أناقش شهود الإثبات وأمزق ادعاءاتهم تمزيقاً . حقاً ، لقد اضطررت إلى أن أفعل ذلك فى مسألة الكولونيل جوير وأسئلته الخاصة بتسجيل المتطوعين وواجب الجندى من حيث هو كواجب . . . أظن أننى أستطيع أن أقول ذلك وإن كنت لاأحب أن أبدو قانونياً كبيراً كصديق المدعى العام أو مساعده الصغير .

إذا كانت رؤوس أهل الحل والعقد تنتزع بسبب إظهار الإسلام وإعلان شريعته ، ثم يسأل الباقون عن رأيهم فى الشريعة الإسلامية ، فذلك لايعنى إلا أن دورهم سيتبع لملاقاة نفس المصير إن هم تجرأوا على أن يقولوا الحق ، وستكون النتيجة ألا يقف أحد لمجابهة إرادتكم . وبعد ذلك تتبجحون بقولكم : إننا لانتدخل فى عقائدكم ! ! فإن لم يكن هذا تدخلا ، فإن لكم أن تزهوا بالعجب الذى يوحى به هذا الادعاء بالتسامح المزعوم !

إننى أيها السادة لاأستطيع أن أسير على نهج قاضى قضاة بريطانيا أو نائب الملك فى الهند . إن له قانوناً يلزمه ، ولى شريعة تلزمنى . إن أمثال قومه — ولا أقصد فيما أقول إهانة — يدعو القرآن المسلمين دائماً إلى اجتنابهم وأن يكونوا منهم على حذر . وقد ورد فى القرآن أنه بعد أن جاوز موسى عليه الصلاة والسلام ببنى إسرائيل أرض مصر بسلام ونجوا من طغيان فرعون ، طلب منهم السير إلى أرض الميعاد ، فقالوا : « إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها ماداموا فيها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون » وقالوا لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون » .

أيها السادة ، ليس هذا هو المثال الذى يجب علىّ أن أحذو حذوه فى شأن أرضى المقدسة ، وما دام الأمر يعنينى ، فإن القرآن هو شريعتى ، وسواء كان الجبارون

أو لم يكونوا ، فإنني سأقاتل حيث يأمرني الله بالقتال ، ولن أهدأ أبداً أو أسأله أن يقاتل بنفسه الجبارين ، وإن كان لابد من شنقي لذلك — لأنها ليست المادة ١٢٠ ا أو ب هي التي تنطبق على تلك الحالة ، بل ١٢١ : إعلان الحرب على الملك — فإنني سأظل أردد أن هذه هي شريعتي ، وأنها شريعة حق . وحتى جثتي ستردد ذلك وهي معلقة على أعواد المشنقة ! !

لذلك أيها السادة لاتفكروا في تخليصي من النفي مدى الحياة ، وإن كان لكم إله ، وإن كان لكم روح تسمون لنجاتها ، وإن كان لكم عقيدة تؤمنون بها ، فستقررون ماتملية ضمائركم . لاتعتبروا أنفسكم مستخدمين لدى رؤسائكم ، ولكن اعتبروا أنفسكم فقط أنكم عبيد لله وجنود . . كذا . . . بحسب ضمائركم فقط ، وليس لإنقاذي ولكن لإنقاذ أنفسكم .

عند ماقال القاضي « لاأسمح لك بذلك » وأراد مني أن أكف قلت له : « لم إذن لا تكف هذه المهزلة وتأمر بشنقي في الحال ونستريح ؟ » . . لقد تبسم وأجاب أن الأمر ليس بيني وبينه فقط ، ولكنه بينه وبين الجمهور ، وقد أجبته أن الجمهور قد أعطى رأيه داخل القاعة ، وكذلك في الشوارع حيث احتشد الناس بالآلاف لتحيتنا إذ تأخذوننا وإذ تعودون بنا ، والنساء المسنات برزن مع تحجبهن ، ومنهن والدتي ، يومئن إلينا .

إن دفاعي أيها السادة إنما هو في سبيل الله ، ومن أجل مواطني ، إننا الآن في قاعة هذه المحكمة كسجناء ومتهمين ، ولكن عند مايجمعنا موقف الحشر أمام الله أحكم الحاكمين فالقاضي والمحلفون والمتهمون والمدعي العام ومساعده . . . الملك نفسه ، وكل إنسان يحشر ويسأل أمام الله : « لمن الملك اليوم ؟ » ماذا يكون جوابكم ؟ « إن الملك لك ، إنه ملكوتك ! » إنكم تقولون إذ تصلون لله « ليأتك ملكوتك » وقد أتى ملكوت الله أيها السادة . . لقد جاء ملكوت الله . . . إن ملكوت الله هنا اليوم وفي هذه الساعة . . . إنه ليس ملك الملك جورج ، ولكنه ملكوت الله ، وعليكم أن تتخذوا قراركم على هذا الأساس . وعلي أن أتصرف على تلك القاعدة ، ولذلك أقول إنني أتبع قانون الملك جورج مالم يحملني على مخالفة أمر ربي ! .

ليس فى نفسى حقد شخصى على الملك ، وليس حتى على القاضى فى نفسى شىء من ذلك ، ولا على الحكومة ؛ ولا يمكن أن يثبت ذلك من أى موقف فى خطبى العامة . . . لا أيها السادة ، يجب أن نعمل بدافع من المصلحة العامة لا من الأحقاد الشخصية . . .

لقد غضب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه على يهودى تهجم على الإسلام ورب الإسلام وعقيدة الإسلام ، فوثب عليه على ليقتله . وأيقن اليهودى بالموت ، ويئس نهائياً من الحياة فبصق فى وجهه . . .

أرأيتم وعاء مملوءا باللبن على النار يكاد يفور ، فيهدأ حالما يضاف إليه قليل من الماء ؟ . . . لقد كان أثر بصقة اليهودى كذلك تماماً ، إذ هدأ غضب على فى الحال عجباً ، وترك اليهودى ومضى . ولكن اليهودى كان من الدهشة لهذا التحول الفجائى بحيث تبع علياً حتى أدركه وقال له : « إن أمرك فى غاية العجب ، لقد طرحتنى حينما تفوهت بكلمة وهممت بقتلى ، حتى إذا بصقت فى وجهك يائساً تركتنى ؟ ! » فأجاب على : لقد تجرأت على حرمة الله وكنت لذلك قاتلك ، فلما بصقت على غضبت لنفسى ، ولا يتفق الحقد الشخصى والواجب العام . . .

إن لى أن أكون سيافاً لله لا قاتلا من أجل على ! !

أيها السادة ، كلانا يحمل اسم على الكريم ، وإنى أحمل أيضا اسم من هو أعظم من على ، وإنى لن أقف موقف القاتل بسبب الأحقاد الشخصية حتى فى قتل الجبارين ، ولكننى فى سبيل الله أقتل كل من يأمر الله بقتله ولو كان ذلك أخى الشقيق أو أمى العزيزة أو زوجى أو أطفالى أو أى إنسان إرضاء لله . . . فعونك يا رباه ! !

* * *

(وهنا خان مولانا محمد على صوته وتحدرت قطرات من الدمع على وجنتيه ، وجلس فى نصر مبين) .

« تمت »

العالم الإسلامي على مفترق الطرق

لسماحة السيد محمد الحسني بن عبد العلي الحسني

هذه الفترة من الزمان التي تمر على العالم الإسلامي والعالم العربي بوجه خاص ، أقول بلا تفاؤل ولا مغالاة — فترة خطيرة ذات أهمية في تاريخ الشعب الإسلامي ، إنها ساعة لا تتوفر أمثالها في تاريخ الأمم والشعوب ، وفي إمكانية العالم العربي اليوم أن يؤدي واجباً ضخماً نحو الإنسانية ، ويلعب دوراً هامًّا في حقل العالم ، ويُغيّر مجرى التاريخ ، ويُحوّل القيادة من الجاهلية الآثمة إلى الإسلام السمح العادل ، ويوفّي ذلك الغرض الأكبر والهدف الأسمى الذي بعثت له تلك الأمة الإسلامية ! إنه يقتضي سرعة لكن بحيطة وحذر ، ويطلب الشهامة والاقتحام ولكن بعد فكر وترقب ، ويحتاج إلى هجوم عنيف على غريمه والانقضاض عليه كما ينقض النسر على الطير والأسد الجائع على الشّاة ولكن بعد اكتمال رصيده الإيماني والروحي ، واستمداده المادي والحربي ، وتنظيمه الجديد ، وتوحيد صفوفه المنتشرة . وهذا هو الذي قد فات العالم الإسلامي في أحيان كثيرة ، فسقط صريعاً أمام ثورة العقل والفكر ، ومعجزات البطولة والاختراع ، وقوة الحديد والنار ، ولمعان المدنية المتطرفة .

هذا الوعي الهائل السائر في الشرق والغرب والشمال والجنوب من العالم الإسلامي ، ذلك الشعور بالخسارة الفادحة والرزء الكبير الذي مني به العالم الإسلامي بيد الاستعمار والمدنية المادية ، الرجوع إلى توحيد الصفوف وتوحيد الكلمة ؛ وعبرة فلسطين المظلومة ، وحركة الإسلام الزاحفة ، وتمكن بعض المخلصين في بعض الدول على زمام القيادة ؛ هذه وأمثالها تطورات في العالم الإسلامي لها قيمتها الغالية وثمنها العزيز . ويجب أن يقدر حق قدره ، وتستخدم كوقود للثورة القادمة : ثورة التحرير من كل سلطان خارجي : مادي أو روحي ، ثورة الحق والباطل والجاهلية والإسلام .

ثم إنه بفضل الجو السياسي القائم فى هذا الوقت ، نال مكانة عظيمة فى خريطة العالم ، وبلغ من الأهمية الاستراتيجية مالم تبلغه الدول الأخرى على وجه الأرض ، وملك من ينابيع الذهب الأسود والمواد الخام الأخرى من الكنوز والمعادن والقوى التى لم تخرج ولم تنتج ، ومن المجموعة الإنسانية التى لم تربّ ولم تثقف ، ما جعله فى كفاية وغناء عن أى استيراد من الخارج .

وثانياً وهو الأهم من ذلك كله : أنّ المجتمع البشرى اليوم قد سئم ومل ويئس ، أقرّ بذلك أم لا ، من منبع أوربا الذى فقد زينته وآن أوانه وانقضى عمره ، وجف ماؤه ، ولم يستطع خلال كل هذه النهضة الهائلة الطويلة ، أن يضيف إلى رصيد الإنسان إلا الحديد والنار والبارود والدخان ، وإلا القنابل المدمرة ، والغازات السامّة ، والآلات المبيدة ، وإلا الضمير الذى اعتاد الجريمة وتعود العصيان والتمرد ، ونشأ فيه ميل أكيد ورغبة جارفة إلى الإثم والفاحشة ، ضمير لا يؤمن إلا بالنفعية ويؤثر العاجل على الآجل ؛ حتى إن المدنية والثقافة والفن والحضارة التى نقرأ قصصها ورواياتها كأنها روايات الجنة أو قصص الجزيرة الخيالية (utotoia) للسير مور ، من الحرية والإخاء والصداقة وعدم السرقة والخيانة وإنجاز الوعد ، والنزاهة فى الحياة اليومية ، كل ذلك تابع لمبدأ النفعية ؛ وقد صدق من قال إن الغربى لا يصوم إذ يصوم ليرفع فى روحانيته وإشراقه ، إنه يصوم ليقوى هيجانه وشهوته إلى الطعام . إنه يربى بنى وطنه وإخوانه ويعلمهم ويثقفهم ، لا لأن يكونوا قدوة للناس ، وأئمة للخير ، بل ليقووا على استعمار الأمم والشعوب وهضم الحقوق وانتهاك الحريات والمقدسات ، وشراء الأسواق ، ويريدون علواً فى الأرض وفساداً . ومن مظاهره العجيبة أننا نرى الغربى صادقاً فى وعده ، إذا هو حدّد الموعد مع رجل فلا يتأخر دقيقة واحدة إذا هو يكذب فاضحاً بدون حياء ويخدع بدون إنسانية فى فلسطين وفى كل بلد شرقى ليس له منه علاقة الدم واللون ، وبينما هو يتجنب سرقة فلس (Peny) فى مملكته ، يراه الناس سارقاً غاصباً فى الشرق ، مستخدماً فى ذلك كل وسيلة مهما غرقت فى الدناءة والإسفاف . وموجز القول أن المدنية الغربية قد افتضحت فى قارعة الطريق ، وظهرت علاتها وسوآتها أمام العيون فى وجه النهار ، وهذا هو الجو العالمى

والأوضاع المحيطة بالعالم الإسلامى ، وصلت بالعالم الإسلامى إلى مفترق الطرق ، وأخذت بيده فى جادة الامتحان .

وأنها تكون من الخيانة المردية والجناية العظيمة أن تقف الأمة الإسلامية التى تحمل رسالة ودعوة إلى الإنسانية ، وتحمل فى يدها مشعل الهداية — موقف المتفرج أو المتطفل ، وتخلع هذا القميص الذى كساها الله من قيادة الأمم وإقامة الوصاية الإلهية على الأرض وتوجيه المجتمع البشرى . أما إذا عقد العالم الإسلامى نيته أن يتحرر من عبودية النفس ونير الاستعمار ، وينقذ الملايين من الناس من عذاب الذل والهوان ، ويخلص الإنسانية من أعدائها ويمسح دموعها ، ويأخذ بيد المجموعة البشرية المنتشرة على الأرض إلى أفق أوسع وأرحب ، وحياة أنعم وأرغد ، وفوزاً فى الدنيا والآخرة ، فهو يحتاج إلى جهاد طويل العمر ، وكفاح شاق مرير ، وتضحيات واسعة النطاق ، ويتطلب خبرة نادرة وتربية دقيقة ، ولكنها تتفق مع رسالتها ، بل هى عين رسالتها وغرض بعثها ، وحجر الزاوية التى يرتفع عليها الصرح الإسلامى .

إنها تقتضى قبل كل شىء نفخ الإيمان الجديد ، والروح الجديدة الوثابة ، والفكر الإسلامى الجرىء الثائر ، فى جماهير العالم الإسلامى ، خاصة الشباب منهم ، ومحاربة مركب النقص فى قلوبهم الذى أكلهم وطغى عليهم من أجل التبشير والاستعمار ، والتعليم والتربية اللتان تتفقان مع روح الغرب وآرائه ، ووضع نظام تعليمى حر يتفق ومطالب الإسلام ، وتبنى على حقائقه الراهنة التى لاتتغير ولاتتأثر ، وتقبل كل صالح جديد فالحكمة ضالة المؤمن ، وتخرج فوجاً جديداً جيداً فى روحه ، فى فكرته ، فى إيمانه ، الذى هو أكبر حاجات العصر الحاضر . والإيمان والعقيدة واليقين والعمل الصالح هذا هو الشىء الذى ينقص المجتمع البشرى اليوم ، مع امتلائه من كل جديد وطريف ، ومن كل نادر وغال .

أما عن التعليم والتربية فقد يجب علينا أن نختار موقفاً حاسماً تجاه علوم الغرب ونأخذ منها ماينفع ، والذى أعطاه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم « العلم النافع » فالعلم الذى لاينفع ولايفيد ليس علماً من وجهة نظر الإسلام ، وإنما هو قتل الوقت

الثمين ، الذى يجب أن يبذل فى ميدان الدعوة والجهاد ، والهداية والإرشاد ؛ فإذا قرّرنا الفلسفة الغربية الحديثة فى منهاج التعليم كنظرية دارون وفرويد ، واقتصاديات هيجل وماركس ، وفلسفة التفسير المادى للتاريخ مثلاً ، فإننا نضعها منا موضع النقد ، لاموضع التقديس كما هو الحال اليوم فى العالم الإسلامى كله . أما تفاهات الفلسفة التى تمنى بالغيب ومابعد الطبيعيات ، وتريد أن تطّلع على ألغاز الكون التى لايعلمها إلا الله وتعالج أمراً ليس فى قدرتها ، فهو فى نظرنا لايقل عن جهالة علماء اليونان والرومان فى شىء ، وحكمنا فى كليهما واحد ، ويجب علينا أن لانضيع وقت أبنائنا بهذه السخافات التى لاتتصل بالعمل والحياة ، ولكن الشىء الذى يهمنا هو تجرد علم الطبيعة (Exact Scienc) والعلم التطبيقى (Appliad Scienc) وعليه نركز قوتنا ونضعه فى الصف الأول ، ونعطيه أهمية كبيرة فى نهضتنا الصناعية والعلمية الجديدة ؛ وبالعلم التطبيقى وحده يستطيع العالم الإسلامى أن يقوم بأعبائه كاملة من هذه الناحية ، والشىء الثانى هو تدريس التاريخ العالمى ؛ فطالب التاريخ وفلسفة التاريخ اليوم فى معاهدنا العامية وجامعاتنا الكبيرة لايعرف إلا صفحة واحدة من تاريخ الغرب ، وهى نهضته المادية والصناعية الهائلة التى هى ضئيلة بنسبة تلك الخسائر المعنوية ، والانحطاط الخلقى والإفلاس الروحى الرهيب الذى وقع فيه العالم الإنسانى ، وينسى الصفحات السود من الاستعمار التى تحتل مكانا عريضاً فى تاريخ الغرب ، كأنَّ الاستعمار شىء سائغ حسن ، وكأن الإرهاب والغارة تفقد معناها وتصبح بركة وسلاماً إذا وقعت بيد رجل عملاق المادة والقوة . . . لتصحيح التاريخ من هذه الناحية وتدريسه على هذه الصورة لأبنائنا ضرورة العالم الإسلامى السريعة[1] .

أما الصناعة بأوسع معناها فإنها تتوقف على العلم التطبيقى ، وهى أمر مهم جداً ، ولعل الأهم منها « الصناعة الحربية » فى الوقت الحاضر عدا الصناعات الأخرى التى

---

(١) الأسف أن الإنتاج فى هذه الناحية ضئيل جداً ، بل لا نخطىء إذ نقول أن عملا ذا بال فى هذا السبيل لم يظهر بعد ، سوى كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للأستاذ أبو الحسن على الندوى ، مع أشد الحاجة إليه . والكتاب لاشك فتح جديد لهذا السبيل ويوفى غرضه كاملا .

يجب علينا أن نحذقها ، ونضعها فى محل الصناعات التى نوردها من الخارج . والصناعة الحربية تتطلب أهمية كبيرة ومهارة فنية ودقة وحداثة ، بحيث لا تقل فى صورتها وسيرتها عن صناعة الدول الأخرى ، بل تفوقها . فنؤسس مصانع هائلة لصنع الطيارات والقنابل والدّبابات الثقيلة ، وندرب قواتنا على أحدث الخطط الحربية . والمعادن والكنوز والذّخائر العظيمة المنتشرة فى العالم الإسلامى بأسره تجعلنا فى غناء عن الأجانب .

وهنا شىء آخر أهم ، وهو أن نربط علاقاتنا التجارية والصناعية بدول الشرق بدلاً عن دول الغرب ونتبادل بها المصنوعات والبضائع ؛ فالشرق بالطبع — وكل يعرف ذلك — صديق لنا ، وصاحبنا فى صد الاستعمار ، وهو أيضاً يريد أن يتخلص من براثنه ويتحرر من عبوديته ويعيد مجده ويحفظ كيانه . وكذلك نستطيع أن نحفظ أنفسنا من دسائس المستعمرين ومؤامراتهم إلى حد كبير ، ونفلح فى حطّ تجارة الغرب وصناعاته المختلفة ، ونكسب أصدقاء جددا ربما يكونون أقرب نسباً وأكبر نفعاً من أعدائنا القدامى ، ونحصل على تأييدهم ومؤازرتهم فى معركة التحرير ، ولا شك أننا إذا كسبنا صداقة الشرق وودّه وقامت بينه وبين العالم الإسلامى علاقات وطيدة وأواصر قوية ؛ فإنه يكون فتحاً جديداً ، ونصراً كبيرا للشرق الإسلامى .

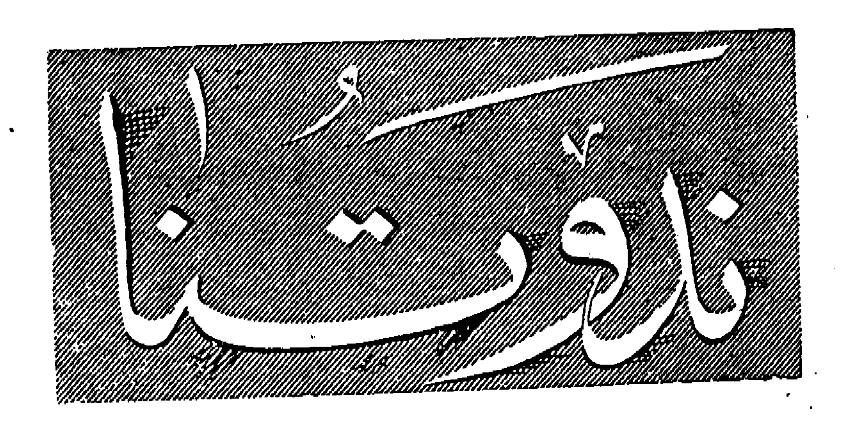
ومن الواجب علىّ أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح فى العالم الإسلامى أمر إذا كان الشعب لا يزال ساخطاً على الحكومة والحكومة ناقمة على الشعب ولابد هنا من تعاون رجال الإصلاح والدعاة ، والمبشرين والمنذرين . ولا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية وصحّت العزيمة ، واتحدت الغاية ، وعلى كل واحد منهم أن يعمل فى حقله ويؤدى حقوق صاحبه ولا يبتغى رضاء أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ؛ إنما هو يعمل لله ، وهو وحده يجزيه لجهاده ، ومن يعمل صالحاً فله أجره ومن عمل سوءاً فهو يجزى به .

ومن الواقع المؤلم أن تاريخ العالم الإسلامى بعد الخلافة والرحمة يبدو كأنه تاريخ

نزاع بين الأمة والحكومة ، وصراع بين رجال الشعب ورجال الحكم ، مع أنهما ركّاب سفينة واحدة وتوءمان لا يفترقان !

العالم الإسلامى قد وصل مرة أخرى على مفترق الطرق ؛ فقد رأت الدنيا بأم عينها أن أصدقاء الإنسانية المزعومين قد أخفقوا بتاتاً فى إقامة السلام العالمى ، إنها كانت تنتظر أن القوة الحربية العتيدة والقنابل والغازات ستفلح فى مهمة إعادة السلام فإذا هى ترى أن القنبلة الذرية « رمز السلام والحرية » توقد الحروب وتهلك الحرث والنسل بدل عملها المنتظر الجليل . ولكنها قالت إنها ضعيفة فى القوة والحرارة وشدة الانفجار ، ولابد هنا من قوة انفجارية تأتى بما لم تأتِ به شقيقاتها ، وتُرهب العالم فلا يجرؤ أحد على الحرب والتدمير ، ولكنها يئست لما سمعت أن القنبلة الهيدروجينية لم تحل مسألة واحدة ، ولم تفك عروة ، بل زادت فى التوتر العصبى والقلق النفسى ، ولم تلبث أن وقمت فى أذنها أن القوى الأخرى ربما أفلحت فى اختراع قنبلة أشد منها وأضر ، وأعظم نكالاً على الإنسانية .

إنه يأس مظلم ولكنه يأس مبارك يعقبه فجر جديد بإذن الله ، إنه فراغ مرهب لا يستطيع أن يملأه أحد إلاّ العالم الإسلامى ؛ لأن العالم الإسلامى هو وحده مصباح الهداية والإرشاد فى بحر الظلمات ، إنه يحفظ فى وعائه إيماناً أفلس فيه الشرق والغرب ، ودستوراً لا يقبل النسخ والنقد ، وتاريخاً ناصعاً لا يضارعه فيه أمة ، وحكمة ربانية هى مفتاح كل قفل وحل كل مشكلة « تنزيل من حكيم حميد » وذلك فى حين فرغت فيه يد الإنسانية من كل مثل عالٍ ، وتعليم خلقى ؛ فلا ترى فى وعائها إلاّ قطعة من الحجر أو شذرة من الذهب .



جاءتنا هذه الرسالة من الأستاذ السيد محمود سلمان

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد :

نشرت مجلة إسلاميك ريفيو The Islamic Review التى تصدر عن مسجد ووكنج فى إنجلترا فى عدد مارس ١٩٥٤ استفتاء من أحد قرائها فى لندن يسأل فيه إن كان يجوز للمسلمة أن تتزوج من مسيحى .

أما فتوى تلك المجلة فى هذه المسألة فهذه ترجمتها :

« يعتبر كل شىء جائزاً مالم يرد نص صريح فى القانون يحرمه . والقرآن ، على أى حال ، لا يتعرض لشرعية الزواج بين المسلمة والمسيحى أو عدم شرعيته ، ومع أننا لأسباب متعددة لانحبذ مثل هذا الزواج فى كل حالة ؛ فإن ذلك غير محرم نصاً فى القرآن » .

أرجو من أسرة تحرير « المسلمون » أن تبدى رأيها فى هذه الفتوى الخطيرة ، خصوصاً وأنه قد اتصل بى أن القائمين على تحرير هذه المجلة وعلى المسجد الذى تصدر عنه فى ووكنج من الطائفة القاديانية ، التى لا يزال المجاهد الإسلامى الكبير الأستاذ أبو الأعلى المودودى سجيناً بسببها .

ولكم شكرى وتحياتى ؟

* * *

وقد أطلعنا على هذه الفتوى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة فقرر ما يأتى :

إن هذه الفتوى باطلة ، وفيها جرأة على الدين وتهجم على أصوله ، وتحليل لما حرم :

أما التهجم على أصول الدين فهو فى ادعاء مفتى المجلة أنه لا تحريم إلا ما حرم القرآن ؛ ألا فليعلم ذلك المفتى وأشباهه ممن يقولون بغير علم أن ما حرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كما يحرمه القرآن الكريم ؛ فادّعاء أنه لا تحريم إلا ما جاء فى القرآن إنكار لحجية السنة ، ولا يقدم على ذلك رجل يحمل اسم المفتى .

وأما تحليل هذه الفتوى لما حرم الله فلأن تحريم زواج المسلمة بغير المسلم أمر ثبت بنص القرآن الكريم ، فقد قال تعالى فى سورة الممتحنة : « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . فإن هذه الآية صريحة فى أن المؤمنات لاهن حل للكفار ولا هم يحلون لهن ، وعلى ذلك أجمع المسلمون .

فهل إسلام جديد ذلك الإسلام فى جامع ووكنج ؟ إن الإسلام الذى دعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم هو ما قررنا وما أجمع عليه المسلمون ؛ فاتبعوا ما أنزل الله ولا تتبعوا أهواءكم .

ويقول الأخ السيد توفيق علوان من حمص .

طالعت بمجلة «المسلمون» العدد الثانى ، السنة الثالثة ، كلمة للأستاذ على الطنطاوى بعنوان (حصاد ربع قرن فى حقل الدعوة الإسلامية بالشام) وقال فيها إن العالمين الفاضلين : على الدقر وهاشم الخطيب ، كانا يدعوان إلى الابتعاد عن العلوم العصرية والاقتصار على العلوم الدينية والصوفية :

وحيث إننى أحفظ قصيدة للأستاذ هاشم رشيد الخطيب من قديم ، من مدة عشرين سنة تقريباً ، يقول فيها :

لا تحسبوا أنى امرؤ جهل احتيا ج العصر للتحصيل والإكثار
وعلوم هذا العصر تضطر النهى أن يُذعنوا لشريعة المختـــار
فلذا أرى للناس أن يتعلموا كل العلوم لـكشف جهل العار

فقد أحببت أن أرسلها إلى « المسلمون » لنشرها .

* * *

وهو اهتمام مشكور من الأخ السيد توفيق جزاه الله خيرا . والله المسئول أن يوجه العاملين للإسلام الوجهة الراشدة فى كل قطر .

وهذه إجابة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة على ما جاء فى تعليق السيد محمد على رؤوف على موضوع الصوم المنشور فى العدد السابع من «المسلمون» للسنة الثانية :

* * *

اطلعت على ما كتبه الأستاذ السيد محمد رؤوف حفظه تعليقا على بعض ما جاء فى موضوع « الصوم » الذى نشر فى العدد السابع للسنة الثانية من مجلة (المسلمون) ، وإنى لأشكر للأستاذ الفاضل حسن تنبيهه ولطف تعبيره . والأمر الذى أثاره ونبّه إليه حفظه الله خاص بمن تناول المفطر مخطئا أو مكرها ، وهو خلاف ثابت بين الحنفية والشافعية ، وقد ذكره الحنفية فى قواعد عامة تكلموا عليها فى كتب الأصول فى باب عوارض الأهلية ، فهو مذكور فى أصول فخر الإسلام البزدوى ، وشروح المنار ، وفى التحرير لـكمال الدين بن الهمام وغيرها ، وأساسه الخلاف فى فهم قوله صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » فقال الحنفية المراد رفع الإثم ، لا رفع الفعل واعتباره فى حكم اللغو ، وقالوا إن الشافعية فسروه برفع الفعل واعتباره فى حكم اللغو ، وبنوا على ذلك الأمر فى تناول المفطر مكرها فى الصوم ، فقد قرر الشافعية أن من تناول المفطر مكرها لا يفطر ، وقد صرحت بذلك كتب الشافعية (راجع كتاب النهاية الجزء الأول ص ١٧٣) .

ولذلك صرحت كتب الشافعية وكتب الحنابلة وكتب الخلاف بأن الشافعى فى أحد قوليه يرى أن من سبق الماء إلى حلقه فى المضمضة لا يفطر ، فقد جاء فى المغنى

مانصه « وإن تمضمض فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسراف فلا شيء عليه ، وبه قال الأوزاعي ، وإسحاق ، والشافعي في أحد قوليه ، وروى ذلك عن ابن عباس ، قال مالك وأبو حنيفة يفطر » (الجز الثالث ص ١٠٨) .

وأما من أكل وشرب شاكًا في طلوع الفجر ولم يتبين له الحق ، فجمهور الفقهاء على أنه لايفطر ، وأما من ظن أن الفجر طلع ثم تبين له الحق ، فهو موضع خلاف بين الفقهاء . ذكره المغنى الحنبلى فقد قال إن أكثر أهل العلم على أن من أكل يظن أن الفجر لم يطلع وقد تبين له من بعد أنه طلع يجب عليه القضاء ، ثم ذكر مانصه (وحكى عن عروة ومجاهد والحسن وإسحاق لا قضاء عليهم لما روى زيد بن وهب قال : « كنت جالسا في مسجد رسول الله في رمضان في زمن عمر بن الخطاب ، فأتينا بشراب من بيت حفصة فشربنا ، ونحن نرى أنه من الليل ، ثم انكشف السحاب ، فإذا الشمس طالعة ، قال فجعل الناس يقولون : نقضى يوماً مكانه فقال عمر : والله لانقضيه ، ماتجانفنا لإثم » ولأنه لم يقصد الأكل في الصوم فلم يلزمه القضاء كالناسي .

بقي بعد ذلك الكلام في حقن هذه الأيام بالمصل من المسام أو من العروق ، فنقول موجزين القول : إن الفقهاء قد نظروا في وصول المفطر من غير الفم فاختلفت أنظارهم ، فمالك لم يلتفت إلا إلى ما يصل إلى الجوف عن طريق الفم في بعض الروايات عنه ، حتى إنه لم يقل إن القضاء واجب على من أعطى حقنة شرجية على هذه الرواية ، وفي رواية أخرى عنه أنه يفطر ، ولا يلتفت إلى ما يصل إلى الجوف عن غير هذه الطريق ، وجمهور الفقهاء على أن ما يصل إلى الجوف من طريق فتحات في الجسم ولو غير طبيعية كالمأمومة والجائفة من الجراح فإنه يفطر ، واتفقوا على أن ما يصل إلى المسام من غير فتحات أو من العين مثلا لا يفطر .

كان بين يدى هذه الأقوال ، وكلها يعتمد على أقيسة واجتهاد ، وليس فيها أثر فيما أعلم ، فلما عرض لى أن أنظر في هذا الأمر الذى جد في عصرنا وهو العلاج بالمصل تحت الجلد أو في العضل أو في العروق ، فكان لى أن أسلك مسلك إمام دار الهجرة ، أو أتعلق بأن هذا دخول من المسام لا من فتحات كالجائفة والآمة ، ولكني نظرت إلى المعنى في الصوم فقلت إن كانت الحقنة تفيد غذاء أو تقوية فإنها تفطر

لتحقق المعنى الناقض لحقيقة الصوم ، وهى الإمساك عن الطعام والشراب ، وإن كانت لمحاربة جرثومة مرض فإنها لا تفطر إذا لم يتحقق معنى الغذاء أو التقوية ، ولنكن مقلدين فى القسم الأول لمن أفطروا بوصول الأشياء من الجروح المفتوحة ، وفى الثانى بمالك الذى كان يختار دائماً السهل الميسر . هذه وجهتنا بإيجاز نقولها ، ونضرع إلى الله تعالى أن يغفر لنا خطأنا ، وأن يهدينا إلى الصواب .

مراسلات القراء

نفتتح هذا الركن ملحقاً بباب « ندوتنا » وننشر فيه أسماء وعناوين الراغبين من القراء فى مراسلة إخوانهم المسلمين فى كافة الأقطار .

ونرجو كل قارئ يرغب فى المراسلة أن يرسل إلى إدارة « المسلمون » اسمه وعنوانه الكامل ورقم اشتراكه وبعض المعلومات الكافية للتعريف به ، ويكتب على الغلاف « مراسلات القراء » .

* * *

- محمد محمد بخيت — طالب بكلية الزراعة بجامعة القاهرة
  ٢٨ شارع ثروت بين السرايات — الجيزة مصر
  يرغب فى مراسلة طالب من العالم الإسلامى خصوصاً أندونيسيا وسوريا.
- أحمد خورشيد — مدرس لغة عربية
  مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة
- سعد زغلول حسن — مدرس التربية البدنية
  كلية المعلمين بمكة المكرمة

إن لبدنك عليك حقاً

بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه

س١ : طالب بالجامعة السورية يسأل عن : ١ — دواء يمنه على رؤية الأشياء واضحة عن بعد ، ٢ — وعن أثر الاستمرار فى الدراسة على بصره .

ج ١ : أولا : لاينفع الدواء علاجاً لقصر البصر ، وإنما تنفع المدسات المناسبة حسب مشورة الطبيب . ثانياً : لاخوف على البصر من متابعة الدراسة .

* * *

س٢ : أحقاً مايقال من أن العقاقير الذرية استعملت فى الطب ؟

ج ٢ : نعم : يود لعلاج الغدة الدرقية وأورامها . فسفور لأمراض الدم . ذهب للأورام الخبيثة فى الصدر والبطن . صوديوم لتقدير أملاح الدم . حديد لتقدير يحمور[1] الدم . كوبلت وهو أقوى من الراديوم مليون مرة لعلاج الأورام الخبيثة فى الأعضاء المجوفة كالمثانة والرحم .

* * *

س٣ : هل يضر التدخين الرئتين والباءة ؟

ج ٣ : نعم . قد يسبب أوراماً خبيثة فى الرئتين ، وربما أضعف غدد التناسل .

* * *

س٤ : يريد دواء ينمى المخ ويزيد الذكاء .

ج ٤ : حمض جلوتم قد يفيد القصور العاطفى وأمراض المخ ، ولـكنه لايجدى كثيراً فى قصور العقل الخلـقى .

* * *

س٥ : تشكو حكة (هرش — أكلان) حول الفرج .

ج ٥ : يلزم فحص عام ثم علاج أى مرض كالسكر مثلا . ويلزم كذلك فحص موضعى ثم علاج أى مرض يؤثر على الأعصاب المجاورة كالبواسير والطفيليات .

---

(١) هيموجلوبين ، وهو المادة الحمراء الملونة للدم .

فإذا لم يظهر مرض مّا وجب علاج الحالة النفسية ما أمكن ، وإعطاء فيتامين «ا» بمقادير كبيرة لمدة شهر .

* * *

س٦ : ماسبب الدوالى ؟ وهل تزول بغير جراحة ؟ وما ضررها ؟

ج ٦ : السبب اتساع أوعية الدم حول الخصية . وهى لاتزول بلاجراحة وربما أدت إلى بعض الألم وضعف الباءة .

* * *

س٧ : الكسل والخمول وكثرة النوم . ما أسبابها وماعلاجها ؟

ج ٧ : الأسباب شتى : منها مايتصل بالجسم كالمرض وسوء التغذية وضعف الغدد والبدانة والنهم وكثرة الجماع . وعلاجها ظاهر ، ومنها مايتصل بالعقل كالغفلة والجهل وعلاجها التعليم والتدريب ، ومنها مايتصل بالنفس كالفراغ والعزلة وعدم الألفة وعلاجها العمل والسعى فى الرزق ، ومنها مايتصل بالقلب وضيقه بالحياة وبالناس وعلاجها الإيمان والإيثار .

* * *

س٨ : شاب سليم البدن له زوجة وذرية يشكو ارتخاء الذكر قبل الجماع حينا وعند الجماع حينا آخر ، وربما كان الحال « عال خالص » أحياناً . يطلب الفتوى فى هذه البلوى !

ج ٨ : للقدرة التامة على الجماع لابد من ثلاثة أمور : ١ — قوة البدن — ٢ — قلة الهم والحزن — ٣ — قوة الحب والغزل . فاحرص على الصحة بالاعتدال ، واغلب الهم بالاتكال ، وارع الحب بحسن العشرة . تجد الحال « عال خالص » كما تقول .

* * *

س٩ : ينزل آخر البول مايشبه المنى وربما زادت مرات التبول .

ج ٩ : قد لا يكون مرضا إلا إذا دل الفحص على صديد فى البول .

* * *

س١٠ : يسأل من بغداد عن ضعف بصر خاله من مرض الشبكية ، فهل تعالج فى مصر ؟

ج ١٠ : نعم . فى مصر من يحسن تشخيص وعلاج أمراض الشبكية .

* * *

س ١١ : جفن عينه اليمنى يرتجف (يرف) ويؤلم أحياناً . فما السبب ؟

ج ١١ : إذا لم يجد الطبيب مرضاً بالعين فهى حالة نفسية ، يزيدها الهم والغضب والحرج .

* * *

س ١٢ : ضاق بالبلغم والتهاب الحلق عند تقلب الجو ، استشار أطباء الصدر والأنف فلم يجدوا شيئاً يذكر ، عولج طويلاً فلم يستفد ، يكاد يقتله الهم . يرجو الشفاء ولو باع فيه مايملك ومايلبس !

ج ١٢ : ياأخى مادام الأطباء لم يجدوا شيئاً يذكر فقيم العلاج وما جدواه ؟ يبدو أنك مرهف الإحساس كثير الوسواس ، تظن البلغم مرضا وهو طبيعى عند بعض الناس . فدع الدواء وخاصم الأطباء واستمتع بالشمس والهواء وصالح الدعاء ، تنل الشفاء ، وتستبق الرداء .

* * *

س ١٣ : ترتعد أصابع اليد اليمنى كلما أمسك القلم أو أى شىء دقيق . يطلب العلاج النفسانى أو التنويم المغناطيسى .

ج ١٣ : هذه حالة نفسية يزيدها النكد والغضب والتعب ، ويفيدها الهدوء والرضى والراحة أكثر مما يفيدها العلاج النفسانى الذى لاتضمن نتيجته ! والعلاج المغناطيسى الذى لاتؤمن عاقبته .

* * *

س ١٤ : يتجمع المخاط داخل الأنف ويجف ويسد مسالك الهواء ولايخرج إلا بالمشقة ونزف الدم . لم تفد قطرة الأنف .

ج ١٤ : الاستنشاق والاستنثار للوضوء خمس مرات بالماء ، وفيما بين ذلك بمحلول الملح كفيل بمنع تجمع وجفاف المخاط بالأنف .

* * *

مع العارفين

طاوس اليماني

[إني لأظن طاوساً من أهل الجنة]
« ابن عباس »

(٢)

وإنك لتجد الحكمة تنساب من طاوس انسياباً مهلاً ؛ يسخّر لها القصص والأمثال ، فتنم عن فقهه وبعد غوره ، وتجد النسب واضحاً بينها وبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحكمة يمانية » .

إنه يفقه أمانة العلم وواجب العالم فيقول : من قال واتقى الله خير ممن صمت واتقى الله .

ونظرة العارف تلمحها فى مثل قوله : حلوُ الدنيا مرُّ الآخرة .

وقوله عن تجربة وطول اختبار : لم يُجهد البلاء من لم يتول اليتامى ، أو يكون قاضياً بين الناس فى أموالهم ، أو أميراً على رقابهم !

وهى كلها حكم موجزة يُلقيها فتجرى مجرى المثل . ومن هذا الضرب قوله : إن أكيسَ الكيس التُّقَى ، وأعجز العجز الفجور . وإذا تزوج أحدكم فليتزوج فى معدن صالح . وإذا اطلعتم من رجل على عمل فجرة فاحذروه فإن لها أخوات !

ومن فقهه قوله الذى رواه هشام بن حجر : « لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج » .

. وما رويَ عن إبراهيم بن ميسرة : قال لى طاوس : لتنكحن أو لأقولن ما قال عمر بن الخطاب لأبى الزوائد : ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور !

أما فى الدعاء فيقول عبد الله بن صالح المكى : دخل علىّ طاوس يعودنى فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، ادع الله لى ! فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

* * *

ويمضى طاوس فى وعظه وحكمته فيعمد إلى التمثيل والقصص ، ومن طريفها تلك المحاورة يوم القيامة بين المال وصاحبه :

قال طاوس : يجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيتحاجان ، فيقول صاحب المال للمال : أليس جمعتك فى يوم كذا فى ساعة كذا ؟

فيقول المال : قد قضيت بى حاجة كذا وأنفقتنى فى كذا فى ساعة كذا .

فيقول صاحب المال : إن هذا الذى تمدّد علىّ حبال أوثق بها ! !

فيقول المال : أنا الذى حلت بينك وبين ما أمرك الله عز وجل ؟ ! . . .

وهذا الحوار فى أمر القدر بين عيسى بن مريم وإبليس :

قال طاوس : لقى عيسى بن مريم إبليس فقال : أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدّر لك ؟ قال : نعم .

قال إبليس : فأوفِ بذروة هذا الجبل فترد منه فانظر أتعيش أم لا !

قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يختبرْنى عبدى فإنى أفعل ماشئت !!

* * *

والموعظة فى عامة الناس سهلة على عامة العلماء ؛ أما الموعظة فى أولى الأمر الجبارين ، والطغاة المتكبرين فلا يقوى عليها إلا نفر من الرجال أُعد لها إعداداً لينالوا بها ثواب أعظم جهاد ، وقد أُعد طاوس لمثل هذه المواقف . . .

قال الزهرى : نظر سليمان بن عبد الملك إلى رجل يطاف به بالكعبة به جمال وتمام فقال : يا ابن شهاب ، من هذا ؟ قلت : هذا طاوس اليمانى ، وقد أدرك عدة من الصحابة . فأرسل إليه سليمان فأتاه ، فقال لوما حدّثتنا ؟

فقال : حدثنى أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهون الخلْق على الله من ولى من أمر المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم » ! !

فتغير وجه سليمان ، فأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال : لوما حدثتنا ؟

فقال : حدثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن شهاب : ظننت أنه أراد علياً) قال : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام فى مجلس من مجالس قريش فقال : إن لكم على قريش حقاً ولهم على الناس حق ما استُرحموا فرحموا ، واستُحكموا فعدلوا ، واؤتمنوا فأدوا ؛ فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً !

فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال : لوما حدثتنى ؟

فقال : حدثنى ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن آخر آية نزلت فى كتاب الله تعالى : « واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ، ثم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ! !

* * *

وقد عمّر طاوس حتى هرم ، ولم تهرم حكمته . فقد حدث أبو عبد الله الشامى قال : أتيت طاوساً فخرج إلىّ ابنهُ شيخ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟

فقال : أنا ابنه !

قلت : فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف !

فقال : إن العالِم لايخرف .

فدخلت عليه فقال لى طاوس : سل وأوجز .

قلت : إن أوجزت أوجزت لك .

قال تريد أن أجمع لك فى مجلسى هذا التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ؟

قلت : نعم

قال : خف الله تعالى مخافة لا يكون عندك شىء أخوف منه ، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب لنفسك .

* * *

كان أكثر رواية طاوس أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه .

ومما روى عنه « أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال : « هل ترى الشمس ؟ قال : نعم ! قال : فعلى مثلها فاشهد أو دع » .

وكذلك قوله : « لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف خرج رجل من الحصن فاحتمل رجلاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ليدخله الحصن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يستنقذه وله الجنة ؟ فقام العباس فمضى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امض ومعك جبريل وميكائيل . قال ، فاحتملهما حتى وضعهما بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم » .

وهذا الحديث القدسى الجميل : « يقول الله تعالى : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلق ، وكفَّ نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتى ، فقطع نهاره بذكرى ، ولم يبت مصرًّا على خطيئة ، يطعم الجائع ، ويكسو العارى ، ويرحم الضعيف ، ويؤوى الغريب ؛ فذلك الذى يضىء وجهه كما يضىء نور الشمس : يدعونى فألبى ، ويسألنى فأعطى ، ويقسم على فأبر قسمه ؛ أجعل له فى الجهالة علماً ، وفى الظلمة نوراً ؛ أكلأه بقوتى ، وأستحفظه ملائكتى ؛ فمثله كمثل الفردوس فى الجنان : لا تيبس ثمارها ولا يتغير حالها » .

ومما روى عن جابر بن عبد الله قوله : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

ونختم حديث طاوس بهذه المناجاة الندية التى رواها عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حيث قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال :

« اللهم لك الحمد ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، ومحمد حق ، والنبيون حق .

« اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدّمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدِّم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

رضى الله عن طاوس وأرضاه ، وألحقنا به فى الصالحين .

لو ملكت الإيمان . .

لو ملكت الإيمان إيمان إبرا   هيم يوماً لصرت إبراهيما
ولأذللت من تأله فى الأ   رض وحطمت أنفه تحطيما
ولأفنيت كل من كان نمرو   ذاً وأذريته حطاماً هشيما
ولكانت دنياك برداً وأمناً   وسلاماً ولو سكنت الجحيما

« محمد محمود الزبيرى »

ثورة الحنين

للأستاذ القاضي محمد محمود الزبيري

« شاعر اليمن »

أنا طيرٌ حطَّمَ المقـدورُ عُشِّى وجَنَاحِي
ورمانى فى نِثار مِن دُمُوعى ونُواحى
وحطام من بقايا وطنٍ غـير صِحاحِ
ذهَبَتْ آهاتِيَ السَّوْ داء أدراجَ الرِّياح
فتهالكتُ على نفسى وألقيت سلاحى
لم أجد سهماً فأفرَغْتُ أنينى فى جراحى ..

***

لا أرى إلا ظلاماً فى غُدوِّى ورواحى
ودياجيرَ ثقالاً نُوَّماً فى كل ساح
سدَّتِ الطُّرْقَ إلى عُشِّى من كل النواحى
آه لو يمحو مسافات النوى والبعد ماح !
آه لو أجتذب الوكْر بحبل الامتياح ![1]
ما على الأقدار إن عُدْتُ لأهلى من جُناح
آه .. ماذا تصنع الآهاتُ فى البيد الشِّحاح ؟!
البكا أعجز ما استخدمت فى كسب النجاح
تمسَ الدمع إذا لم يَسْتَطِعْ فَكَّ سراحى

---

(١) الامتياح : استخراج الماء من البئر بالدلو إذا قل ماؤها

الدستور الخالد

للأستاذ عبد اللطيف محمود رحال

جلَّ من فجَّرَ الكتابَ بياناً عزَّ مَعنًى يفيضُ من رَحماتِه
أعجزَ العالمين إنساً وَجناً فانحنَوْا خُشَّعاً لدى مُعجِزاته
صَانَهُ الحقُّ أنْ يُغيِّرَ لفظاً أوْ يَجيء التبديلُ فى كلماته
سَجَدتْ دولةُ البلاغةِ لما جاء فصلُ الخطابِ من مُحكماته
هو نورُ الوجودِ إن رُمْتَ نوراً يخرجُ العالمين من ظُلماته
هو ذُخْرُ الحياةِ يا شرقُ فانهضْ وابنِ صرحَ الحياة مِنْ لَبناته
هو لحنُ الجهاد ، نصرٌ عزيزٌ أو نَوالُ الخلودِ فى جنَّاته

***

قد بُلينا بالغربِ ينفثُ سماً مُهلكاتُ الضلالِ من نَفَثاته
يُضمِرُ الشرَّ للبناء ويُخفى معولَ الهدمِ فى ضَجيجِ نُعاته
عَرفَ الشرقَ قوةً لا تُجارَى ومَضاءً يجدُّ فى وثَباته
فانثنى يسرقُ الخطا فى احتيالٍ دَبَّ فى مَكرِهِ وفى خُطُواته
يَصْرِفُ الشرقَ عنْ كتابٍ كريمٍ ليُحِلَّ الهراءَ من مُهلكاته
ذاكَ هَولُ المُصابِ فى مَصرع الشرْقِ وبدء المُضيِّ فى غَفَلاته
ذاكَ سِرُّ التحويلِ فى كل قُطْرٍ مسلمٍ غطَّ فى عميق سُبَاته
عجباً ! تُبدلون تِبراً بتُرْبٍ وتُراثَ الهدى بقول عداته
والبناءَ المكينَ مِنْ شِرعةِ الحقِّ هجرتم إلى بناء غُواته
والذى أنزلَ الكتابَ ختاماً لخطابِ السماءِ فى بَيِّناته :
لَنْ تنالوا الحياةَ حتى تعودوا لمُقيلِ الزمانِ من عثراته

رسالة من أوسا

(٢)

أوسا إمارة إسلامية :

فى النصف الأخير من القرن الأول الهجرى انتشر الفتح الإسلامى حتى شمل البلدان الواقعة على شواطىء البحر الأحمر الغربيـة ، وجاوزها إلى ما يليها من المناطق الحبشية .

ويذكر المؤرخون قيام سبع إمارات إسلامية فى شرق بلاد الحبشة وجنوبها الشرق ، ما بين القرن التاسع والقرن الثالث عشر ، منها إمارة إفات شرقى شواء ، وإمارة أوار وعاصمتها دكرا شرقى هرر ، وإمارة بالى جنوب شواء ، وإمارة هديا فى إقليم سداما فى الجنوب الغربى من شواء ، وإمارة داره فى إقليم أمحاره ، وإمارة أوسا شرقى شواء .

وفى ذلك العهد كانت مملكة الحبشة محصورة بين شواء وأمحاره وتيجره ، وكانت الحرب سجالاً بين المسلمين والأحباش من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ، ولا سيما فى هذا القرن السادس عشر ، حيث كان الأحباش يحاربون بقيادة النجاشى « لبناد نجل » ثم ابنه كلاؤديوس فى معارك هائلة ، أحرج فيها موقف المسلمين فى هرر عام سنة ١٥٢٠ ميلادية ، ذلك لأن الأسرة المالكة « واسمع » كانت قد ضعفت وتسرب إليها الانحطاط ، وأمست على حال سيئة من الفوضى والارتباك ، إلى أن قام الإمام أحمد بن إبراهيم فغزا الحبشة وأوغل فيها حتى بلغ المناطق الواقعة فى شمال تيجره ، وهنالك استمات الأحباش فى الدفاع عن حياضهم فى معارك رهيبة شابت من هولها الولدان ، وأسفرت عن انتصار المسلمين وهزيمة الأحباش حتى أضرعوهم إلى الاستنجاد بالبرتغاليين الذين كانوا قد بسطوا نفوذهم على بعض جهات أفريقية الشرقية ، ولما كانت تربطهم الرابطة الدينية بالأحباش لم يتلكأوا فى إمدادهم بالجند والمدافع فاستطاعوا أن يعيدوا الحرب سجالاً بينهم وبين المسلمين اثنتى عشرة سنة .

وخر الإمام أحمد بن إبراهيم فى نهايتها صريعاً فى ميدان القتال ، وخلفه على عرش هرر وفى قيادة الجيش ابن أخته الأمير نور بن مجاهد ، فشنَّ على الأحباش حربا شعواء ، وقتل النجاشى كلاؤديوس سنة ١٥٥٩ ، وتوفى سنه ٩٧٥ هـ ما بين ١٥٦٧ و ١٥٦٨ م . وبموت الأمير نور تسلسل الانحطاط إلى إمارة هرر ، فلم تعد تقوى على مجابهة الأحباش . وفى هذه الغفوة قوى أمر الغالا الوثنيين ، فقضوا على الإمارات الإسلامية فى بالى وهديا فدانت البلاد لسلطانهم . وإذ ذاك اتخذ المسلمون إقليم أوسا مركزا لإمامهم بدلا من هرر ، واستمر حكم أوسا متوارثاً فى أبناء الإمام النازح حتى انتهى إلى السلطان محمد كدافه ، وهو السلطان الذى لا تزال سلالته تتعاقب على حكم إمارة أوسا إلى الآن : وهم السلطان أيداحس بن السلطان محمد كدافه ، ثم السلطان حنفرى ، بن السلطان أيداحس ، ثم السلطان محمد بن السلطان حنفرى ، ثم السلطان أيداحس بن السلطان محمد ، ثم إلى ابن أخيه السلطان محمد يايو بن السلطان محمد ؛ وهو السلطان الذى اعتقلته وأبناءه حكومة أثيوبيا عام ١٩٤٤ ، ويتصل نسب السلطان محمد يايو من جهة أمه بنسب الشيخ حمو ، وهى السيدة فاطمة بنت حمو من نخذ ممنديته .

وبعد أن اعتقل الأحباش السلطان محمد يايو آل الحكم إلى حفيد ابن عمه السلطان أيداحس بن محمد ، جرياً على تقاليد الأسرة المالكة ، وهو السلطان الواثق بالله على بن حنفرى ابن السلطان أيداحس . ويتصل نسبه من جهة أمه بنسب الشيخ عمر ، وهى السيدة حواء بنت عمر من نخذ دنبيله أحمر .

لما تولى الواثق بالله على بن حنفرى منصب آبائه على عرش أوسا لم يكتف بالجرى على تقاليد الأسرة المالكة فى تقلد الحكم ، بل أراد أن تتسم إمامته ببيعة شرعية جرياً على أحكام الشريعة الإسلامية ، فدعا الشعب الأوسى إلى مبايعته فلباه على بكرة أبيه ، وفى مقدمتهم العلماء والأعيان والأمراء من آل أيداحس ، وأجمعوا على مبايعته بحب وطاعة وإخلاص .

وكانت الطريقة التى اتخذت فى مبايعته أن حررت صيغة البيعة فى عدة وثائق ليوقع فى كل وثيقة منها جماعة من زعماء الشعب وعلمائه والأمراء من آل

أيداحس ؛ لتكون البيعة أثراً مسجلا للتاريخ . وفيما يلى صورة البيعة التى أخذت لسموه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم » .

مولانا صاحب العظمة السلطان الواثق بالله على مراح بن حنفرى .

نحن علماء أوسا ووجهاؤها الموقعون أدناه نبايع عظمتكم سلطاناً لبلاد أوسا، وأميراً على شعبها ؛ على أن تحكموا فينا بكتاب الله وسنة رسوله ، وأن ترعوا مصالح الشعب والوطن فى حدود الشريعة الإسلامية الغراء ، ولكم علينا عهد الله وميثاقه أن نخلص لكم الطاعة والولاء ، وأن نجاهد فى سبيل الله والوطن تحت قيادتكم بالأموال والأرواح . ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، والله على ما نقول وكيل وشهيد ، وهو نعم الوكيل وخير الشاهدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

***

هذا هو النص الحرفى للصيغة التى تضمنتها وثائق البيعة ، وفى يوم مشهود من التاريخ أقبل الخاصة من الشعب الأوسى على اختلاف شخصياتهم ودرجاتهم يوقعون على وثائق البيعة بوجوه متهللة وقلوب طافحة بالسرور ، كذلك الأمراء من آل أيداحس بادروا إلى التوقيع على وثيقة البيعة التى أعدت لهم خصيصا بقلوب مفعمة بالإخلاص والحب والولاء .

ميلاد السلطان ونشأته :

ولد السلطان الواثق بالله على بن مراح بن حنفرى سلطان أوسا الحالى عام ١٣٤٥ هجرية فى قرية « حنله فورى » من بلاد أوسا ، أنجبته السيدة المصونة حواء بنت عمر من نخد دنبيله أحمر . ونماه الأمير النبيل حنفرى بن السلطان أيداحس بن السلطان محمد بن السلطان حنفرى بن السلطان أيداحس بن السلطان محمد كدافه . نشأ فى كنف عمه السلطان السابق محمد يايو الذى مات فى ظروف مريبة معتقلا فى عاصمة أثيوبيا ؛ فنشأ نشأة طيبة صالحة ، فزّاعاً إلى الخير ، مكبا على درس الفقه وطلب التفقه فى الدين من وجوه كثيرة ، وتتلمذ على عدد من علماء بلاده .

وله شخصية جذابة قوية ونظرات نفاذة قاهرة ، وفيه شمم ووقار فلا يكاد يزايله وقاره فى جد ولا هزل ، إذا مثلت بين يديه غمرك فيض من المهابة والجلال ، ولكنك لاتلبث أن يخامرك الأنس والابتهاج ، ويخالطك شعور طافح بحبه والميل إليه ، وإذا حدثك وجدت كل حديثه لين وتلطف وتيسر ، ولكنك تحس فى صوته قوة وعمقا ، وتلوح لك الشجاعة بين عينيه، ومضاء العزيمة فى وميض نظراته .

ولذلك تجده شديد التقوى والورع محباً للعلم والعلماء ، رحيما بالفقراء والمساكين ، إلى تمسك شديد بتعاليم الإسلام وحرص بالغ على تطبيقها ؛ وهذا ما حدا به إلى تقييد إمامته بإجراءات شرعية صحيحة طبقاً لقواعد الدين الحنيف .

ويلاحظ أنه لا يمضغ القات ولا يدخن الطباق ، بل إنه يرى تحريم عادة التدخين حتى أنه منع زراعة الطباق فى بلاده مع صلاحية زراعته فى تربتها ، ومع علمه بأن هذا النبات أصبح سلعة تجارية عالية رائجة .

الاضطهاد الحبشى :

فى عام سنة ١٩٤٤ جلس السلطان الواثق بالله على بن حنفرى على عرش آبائه ونفسه تختلج بالمطامح العظيمة والآمال الكبيرة فى النهوض بشعبه وترقية بلاده ، ونظراً لمجاورة إمارته لحكومة أثيوبيا حاول فى مبدأ الأمر أن يحسن علاقة إمارته بحكومة أثيوبيا بغية التعاون معها على إدخال الإصلاحات على بلاده والنهوض بأمته ، ولكن آماله صدمت صدمة عنيفة بما أبدته حكومة أثيوبيا نحو بلاده من سوء النية وفظاعة الأنانية ، وطبيعة الاستئثار بالحكم والخيرات ، وجبروت القهر والاستبداد ؛ حتى حرمته من مزاولة سلطته فى بلاده .

وأخذت تشدد الضغط عليه ، وتقوى نفوذها وتنشر إرهابها فى إمارته تمهيداً لضمها إلى إمبراطوريتها .

« م . س »

في أفق العالم الإسلامي

* المعونة العسكرية الأمريكية للعراق
* فلسطين

المعونة العسكرية الأمريكية للعراق :

« كتبت الصحف الأمريكية مراراً — نقلا عن مصادر وزارة الخارجية الأمريكية — أن العراق ستكون ثالثة الأثافي في الحلف الباكستاني التركي ، وترامت الأنباء البرقية تفيد أن العراق يفكر جدياً في ذلك . . ونسبت إلى الدكتور فاضل الجمالي رئيس وزارة العراق تصريحات تؤيد ذلك ، وقيل إنه يتقدم بهذا المسلك الانفرادي من دول الجامعة العربية التي خذلت مشروعه الخاص بالاتحاد بين الدول العربية ، كما تصادف أن قام الملك فيصل والأمير عبد الإله والسيد نوري السعيد بزيارة رسمية لباكستان يوم ١٢ مارس الماضي وفي غمرة هذه الأحداث . . إلا أن اللجنة السياسية للجامعة العربية أذاعت بياناً يوم أول إبريل الجاري تنفي فيه الشائعات التي راجت عن انضمام إحدى الدول العربية لحلف تركيا باكستان ، وأكد البيان أن الدول العربية جميعاً — وخص العراق بالذكر — لم تفكر في الاشتراك في هذا الحلف ، وأنها لن تقبل أي التزام ينقص من سيادتها الكاملة واستقلالها التام » . . ونحن نقول : أفلح — أي العراق — إن صدق ! » .

هذا ما كتبناه بالحرف الواحد في العدد الأخير من « المسلمون » معلقين على موقف العراق من حلف تركيا باكستان . . ولم يكد القراء يطالعون هذا حتى طالعتنا الأنباء — وإن لم تفاجئنا — بأن حكومة الولايات المتحدة قد استجابت لطلب المعونة العسكرية الذي تقدمت به العراق في مارس سنة ١٩٥٣ لتقوية جيشها ضد العدوان المحتمل ، وأن حكومة العراق إذ طلبت هذه المعونة لتمكينها من الدفاع عن « استقلالها » قد ربطت بين هذا الهدف وبين « الدفاع عن موارد العالم الحر الحيوية » ، وأكدت أنها سوف لا تسمح للعراق بأن تستخدم هذه المعونة في محاربة إسرائيل . . كما أعربت عن أملها — وهذا هو مربط الفرس — في أن تخطو العراق الخطوة التالية فتنضم لحلف تركيا باكستان .

ولكي نفسر هذا كله نقول إن السياسة الأمريكية قد فشلت في أن تطوى الجامعة العربية ، وتحول منها منظمة دفاعية مرتبطة المصير بكتلة الغرب على غرار حلف شمال الأطلنطي وحلف البلقان ، وسبب فشلها هذا هو يقظة الشعوب العربية وحيلولتها دون استجابة حكوماتها للاغراء والضغط ، فقد أصبحت سمعة أمريكا وسياستها بالازدراء والكراهية من العرب ، إذ هي المسئولة عن خلق دولة اليهود بقوة الحديد والنار . . ووهج الدولار ، وهي المسئولة أيضاً عن هذا الموقف البئيس الذي آلت إليه القضية المصرية ، ومصر هي مركز الثقل في أي منظمة يراد إقامتها في هذه الرقعة من العالم .

واتجهت السياسة الأمريكية بعد هذا الفشل اتجاهاً آخر يوصلها لنفس غايتها ، التي هي إنشاء خط دفاعي أمامي يتلقى الصدمة الأولى والمباشرة في الحرب المتوقعة ، فبدأت تضغط على الدول العربية لتعقد معها معاهدات عسكرية ثنائية ، واحدة بعد الأخرى ، فتقضي بذلك على الجامعة العربية

— من الناحية العملية على الأقل — وعندئذ تجد الدول المنيدة — كمصر مثلا — نفسها فى عزلة وقد تخلت عنها شقيقاتها العربيات ، فلا تجد مفراً من الرضوخ . . وثمة نتيجة هامة تأتى تبعاً لذلك ، وهى عقد صلح بين الدول العربية « المتأمركة » وبين إسرائيل المدللة .

هذا ونرى أنه يترتب على قبول العراق معونة أمريكا العسكرية هذه النتائج :

١ — ستستقبل العراق بعثة عسكرية أمريكية تضم بعض الخبراء لتتحرى حاجة العراق إلى السلاح ، ثم لتشرف على تنفيذ بنود معاهدة الأمن المتبادل المبرمة بين البلدين ، ولتتأكد من أن العون العسكرى لا يستعمل فى غير الأغراض المخصص من أجلها ، ولها أن تسدى إلى حكومة العراق المشورة والنصيحة من النوع الذى يعبرون عنه دبلوماسياً « بالنصيحة التى يحسن عدم رفضها » . . وستضع العراق أسرارها العسكرية رهن طلب العسكريين الأمريكيين ، ولا يستبعد أن يكون بعضهم يهوداً صهيونيين ، ولو استبعدنا هذا الاحتمال فإن نفوذ الصهيونية واضح فى دوائر حكومة واشنطن ، مما يتيح لإسرائيل فرصة ذهبية لمعرفة أدق المعلومات العسكرية عن العراق من مصادرها الرسمية ! ولعل القراء لم ينسوا بعد حادث تسرب الأسرار العسكرية التى قدمتها الدول العربية فى اطمئنان وسذاجة لحكومة واشنطن سنة ١٩٥٠ — عندما تقدمت إليها طالبة مدها بعون عسكرى — إلى إسرائيل . . وقد فوجىء العرب بمندوب إسرائيل فى لجنة الهدنة وبيده صورة حرفية منها . . ولما روجعت حكومة واشنطن اعتذرت بأن موظفاً يهوديا بالبيت الأبيض سرق المعلومات وأوصلها بنفسه إلى إسرائيل . . ثم استقال ، واكتفت حكوماتنا العربية بهذا الرد ، واعتبر الموضوع منتهياً ! !

وشبيه بهذا ما حدث فى ديسمبر الماضى حين أثار بعض النواب اللبنانيين فى استجواب برلمانى أن مكتب النقطة الرابعة ببيروت يضم موظفين إسرائيليين وأنهم يتجسسون لصالح إسرائيل . . وأن النقطة الرابعة تقوم بمشروعات فى لبنان تفيد إسرائيل . . وانحنت أمريكا للعاصفة وسحبت مستر « هوليز بيتر » مدير النقطة الرابعة بلبنان . . . وانتهى الموضوع — أيضاً — عند ذلك الحد ! !

***

٢ — صرح أيزنهاور بأن العراق منحت المعونة وفق برنامج الأمن المتبادل ، مكذبا زعم حكومة العراق أنها منحت المعونة العسكرية دون أى قيد أو شرط ، إذ أن برنامج الأمن المتبادل يضع قيوداً ثقيلة تشل من حرية الدولة التى تتعامل مع أمريكا وفقاً له ، فكما يقول الرئيس الأمريكى إن مقتضاه أن تستخدم المعونة الأمريكية لخدمة « الغرض المشترك » وهو مقاومة الشيوعية ، ومؤدى هذا أن العراق قد اختارت أن تكون ذنبا للمعسكر الغربى ، وأن تعادى معسكر السوفيت ، وأن تجعل أرضها وسماءها ميداناً لمجزرة بشرية رهيبة تستخدم فيها الأسلحة الذرية والكيمائية والميكروبية التى يتبارى المعسكران — فى جنون — فى كشفها واختزانها . . وهى من قبل ذلك كله — كغيرها من الدول المغلوبة على أمرها — ليس لها مصلحة فى ممالأة أحد الفريقين ، بل إن النزاع بين الكتلتين إنما يقوم حول الدول المستضعفة — كالعراق مثلا ! — كل منهما يبغى أن يفرض عليها سيطرته ونفوذه . . والمثل العربى يقول : لأمر ما جدع قصير أنفه !

ولنضرب للعراق الشقيق مثلا دولة صغيرة متواضعة مثله ، متاخمة للاتحاد السوفيتى مثله أيضاً . . هى فنلندا ، فقد أعلنت حيادها ورفضت دعوة الغرب لإبرام أى اتفاق معه ، واحتجت — والحق

معها — بأن إقدامها على ذلك سوف يعرضها للصدمة الأولى من جحافل السوفيت إذا ما قامت الحرب .

ومثل آخر مضاد نضعه مع المثل السابق جنبا إلى جنب . . وهو باكستان التى قبلت المعونة العسكرية الأمريكية بنفس الشروط التى أمليت على العراق . وقد دفعت بعض الثمن لهذه المعونة فى الأيام الماضية عندما سمحت للطائرات الأمريكية المشحونة بالعتاد الحربى المرسل للفرنسيين لشد أزرهم فى حربهم الاستعمارية فى الهند الصينية بالتحليق فى سمائها ثم الهبوط فى مطاراتها للتزود بالوقود ... وهكذا أصبحت باكستان — للأسف — قنطرة تعبرها أمريكا إلى حيث تحاول وأد الحركات التحريرية فى آسيا .

* * *

٣ — واستطرد أيزنهاور فى تصريحه قائلا : إن العراق لم تمنح المعونة لتشن بها حربا على دولة أخرى صديقة للولايات المتحدة ، إذ ليس الغرض من هذه المنح مساعدة أية دولة فى أية حرب محلية من أى نوع . . وواضح أنه يعنى بالدولة الصديقة « إسرائيل » التى تقوم أمريكا حيالها بمهمة الحاضنة ، ومن قبل قامت بدور القابلة وأخرجتها إلى الحياة ... وقد صرح مستر بايرود وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المختص بشئون الشرق الأوسط بأن على العرب أن يتقبلوا إسرائيل كحقيقة واقعة ، وأن عليهم أن يغيروا سياستهم حيالها إلى سياسة أكثر استسلاما للواقع ... فإذا أضفنا إلى هذه التصريحات ذلك الضغط الدبلوماسى الأنجلو أمريكى على الدول العربية لعقد صلح مع إسرائيل الذى ظهر واضحا فى الأيام الأخيرة ، والذى أطاح بحكومة الدكتور الملقى فى الأردن لرفضها الانصياع له ، نجد أن العراق بعد قبول هذه المعونة الأمريكية ستكون نظرته إلى إسرائيل أكثر « واقعية » من ذى قبل .

* * *

٤ — بقى أن يعلن العراق انضمامه لمحور تركيا — باكستان ، وهذا هو بيت القصيد الذى لن تقر أمريكا إلا بتحقيقه ، فضلا عن أن الحلف التركى الباكستانى لا يمكن أن يعد « سليما » من الوجهة الجغرافية والاستراتيجية إلا إذا شمل الدول المحصورة بين قطبيه والتى تتاخم حدود الاتحاد السوفيتى الجنوبية — وهى كلها بلاد إسلامية — وهذا هو علة النص فى معاهدة الحلف على أنها مفتوحة ، ومصداق هذا أن الأفغان تناست لأول مرة منذ قيام باكستان العداء التقليدى لها ، وتبادل المسئولون فى كراتشى وكابول تصريحات تتضمن معانى التعاون والتفاهم . . بل إن رئيس وزارة الأفغان رحب صراحة بحلف تركيا — باكستان ، وأشار إلى الود الذى تكنه الأفغان نحو البلدين ، وردت حكومة باكستان التحية بأحسن منها ، فأفرجت عن زعيم قبائل بلوخستان خان عبد الغفار خان الموالى للأفغان بعد اعتقال طال عدة سنوات ، والمعروف أن مشكلة إقليم بلوخستان هى عقدة الخلاف بين البلدين . . وتلى الأفغان إيران . . ويكاد يكون انضمامها للحلف أمراً مقرراً بعد فراغها من تسوية مشكلة البترول . . ويلى إيران العراق — موضوع حديثنا — وبه تتصل حلقات السلسلة التى تبدأ من كراتشى وتمر بكابل فطهران فبغداد وتنتهى بأنقرة .

* * *

وبعد : فلم تكد تطالعنا الأنباء بمنح العراق عونا عسكريا من الولايات المتحدة حتى حدثت هزة سياسية أطاحت بحكومة فاضل الجمالى . وخلفته حكومة أخرى محايدة أعلنت حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة . . وإلى هنا نضع القلم وننتظر . . فالكلمة الآن لشعب العراق !

فلسطين :

أصدر فضيلة الأستاذ مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان المسلمين في سوريا بياناً ضافياً بعد عودته من القدس إلى دمشق نقتطف منه ما يلي :

اغتنمت فرصة دعوة المؤتمر الإسلامي العام بالقدس إلى حضور الاحتفال الكبير بذكرى الإسراء والمعراج ، لدراسة الأوضاع العربية في الفردوس المفقود « فلسطين » وأتيح لي في هذه الزيارة لعمان والقدس والخطوط الأمامية أن أطلع على الحقائق المؤلمة التي ما تزال خافية على أبناء البلاد العربية ... ولذا رأيت من واجبي أن أطلع الرأي العام على ما تسمح المصلحة بالاطلاع عليه .

١ ــ الوضع العام في فلسطين العربية :

لا أظن أن هذا الجزء الباقي من أرض فلسطين الحبيبة قد مرت عليه في تاريخه الحديث ظروف أقسى وأصعب وأشد وطأة من هذا الظرف القائم ؛ فالبطالة منتشرة ، والأمراض في أوساط اللاجئين متفشية ، والزراعة تكاد تكون مشلولة ، والتجارة كاسدة ، ونفقات المعيشة تزيد ضعف نفقات المعيشة عندنا ، ومما يزيد في الألم ، أن العرب الموجودين هناك يشعرون بالخطر المحدق بهم ، وبتخلي الدول والشعوب العربية عن العناية الجدية بنصرتهم ، وهم لا يملكون من وسائل المقاومة إلا إيمانهم وسلاحهم الضئيل .

٢ ــ الخطوط الأمامية :

لقد فقدت القرى الأمامية أكثر أراضيها الصالحة للزراعة والاستثمار ، وتمزقت شبكة المواصلات التي تربط بين بعضها بعضاً ، وانعدمت موارد الرزق ، وأصبح أهلها في حالة من البؤس والشقاء يرثى لها ، حتى قال لي أحد المجاهدين من قرية نحالين : إننا والله ندافع عدوان اليهود علينا ونحن جياع عراة !...

وقد كان من الممكن أن يتحمل سكان القرى الأمامية هذا الشظف من العيش لولا أنهم في قلق دائم من غدر اليهود وعدوانهم . . إن معنوياتهم عظيمة ومرتفعة ، ولكن وسائل المقاومة لديهم ضعيفة جداً . إنك لتزور هذه القرى التي لا يبعد كثير منها عن مناطق الاحتلال اليهودي أكثر من عشرات الأمتار ، ومن هذه القرى ما قسم قسمين : قسم منها بيد العرب والباقي بيد اليهود . . إنك لتزور هذه القرى فلا تشعر أبداً أنك أمام خطوط أمامية تعيش في حالة حرب مع الأعداء . . الطرقات مفتوحة والقرى مكشوفة ، وليس هنالك شيء من وسائل التحصين كالخنادق والأسلاك الشائكة وأبراج المراقبة وغير ذلك . . وهذا مما سهل على اليهود عدوانهم المتكرر . . لقد دخلوا إلى قرية نحالين واجتازوا إليها طريقاً في داخل الحدود العربية يمتد مئات من الأمتار ولم يجدوا من يكشف أمرهم حتى باغتوا القرية بنسف المسجد وبعض البيوت ! ولولا بسالة الحرس الوطني لنسفت القرية ووقعت فيها من الضحايا عشرات ومئات ... وكما نقول في نحالين نقول في كل قرية واقعة على الحدود بين العرب واليهود . ومن الملاحظ أن مخافر الجيش العربي بعيدة عن القرى المتعرضة للعدوان ، وإلى أن يصل إليها طلب النجدة ، وإلى أن تتلقى الأوامر بالإسراع إلى مكان الاعتداء يكون اليهود قد أتموا جرائمهم وعادوا من حيث أتوا سالمين .

٣ — الحرس الوطني :

إن قصة الحرس الوطني قصة محزنة ، فهم مكلفون في النهار أن يسعوا إلى طلب الرزق ليعولوا أطفالهم ونساءهم ، ومكلفون في الليل بالسهر والمراقبة ، فكيف يستطيعون تحمل هذا ؟ .. وقد يأخذ الحرس الوطني رواتب قدرت بدينارين (أي جنيهين مصريين) في الشهر لابن القرية المقيم فيها ، وبخمسة دنانير للمغترب عنها ، وهي رواتب مضحكة محزنة نظراً لغلاء المعيشة وكثرة التكاليف وقلة الموارد .. أما سلاح الحرس الوطني فردي قديم وذخيرته قليلة .. إذ لا يعطى الواحد منهم إلا خمسين طلقة فقط .. أما تدريباتهم فتكاد تكون معدومة ، وألبستهم مخزية .

ومن الأسف أن الجامعة العربية وقد أقرت الإنفاق على الحرس الوطني ، لا تزال حتى الآن ممسكة يدها عن الإنفاق عليه بما يجعله ذا أثر فعال في رد العدوان اليهودي .

٤ — وكالة الغوث :

إن قيام هذه الوكالة بإغاثة اللاجئين في قلب الدول العربية ومن أموال أجنبية وبإشراف الأجانب الذين يشكل اليهود فيهم القسم الأكبر .. يعد في رأيي وصمة خزي في تاريخ سياستنا العربية ... فلقد كان بالإمكان أن نصون وجوه هؤلاء البائسين من الذل والحاجة والوقوف الساعات الطوال أمام موظفي الإغاثة ليأخذوا حفنة من القمح أوملعقة من الزيت أو كأساً من اللبن .. لو تذكرنا واجب الإخاء والكرامة العربية في هذا المضمار ... إن اللاجئين لا يبلغون المليون .. وشعوب دول الجامعة العربية تزيد على أربعين مليوناً ... أفعجزنا أن نقوم بنصيب الزكاة .. أي أن يضم كل أربعين شخصاً منا شخصاً واحداً من هؤلاء اللاجئين .. وأن ميزانية دول الجامعة وفيها دول ذات موارد جديدة لم تكن تحلم بها من قبل .. تبلغ عشرات أضعاف ميزانية وكالة الغوث .. فهل عجزت الدول العربية أن تتقسم نفقات هؤلاء الإخوة المشردين ؟ .. إن وكالة الغوث تتبنى سياسة التجويع والإذلال والقتل الأدبي لإخواننا اللاجئين .. وإنها لتخلق منهم شعباً كسولا يعيش على التسول ويريق ماء وجهه في سبيل لقمة العيش .. ولم تقم هذه الوكالة حتى الآن بأي مشروع إنشائي يعلم اللاجئين أن يأكلوا من ثمرة أتعابهم ... وهاهي تصر على أن تجلب من فرنسا قمحاً توزعه على اللاجئين في الأردن مع أن الأردن بلد زراعي وموسمه في هذه السنة من أجود المواسم ، وتجاره وزراعه مستعدون أن يقدموا للوكالة الكميات التي تحتاج إليها من القمح بسعر أدنى مما تشتريه من فرنسا وغيرها ، ومع ذلك فلا تزال مصرة على هذه الخطة ، وهاهي قد قررت أخيراً نقل بعض مكاتبها وإداراتها من بيروت لنيويورك ! .

٥ — النقطة الرابعة :

وليس أمعن من موقف وكالة الغوث في إذلالنا إلا مشاريع النقطة الرابعة .. فهي هذا عن اعتماداتها الضئيلة التي لا تمد شيئاً بجانب الاعتمادات الممنوحة لإسرائيل ... شعار الجاسوسية اليهودية المنظمة ، وللتغلغل اليهودي في قلب فلسطين والأردن والبلاد العربية .. إن موظفي النقطة الرابعة في الأردن مثلا معفون من كل رقابة ، ومن كل سيطرة للحكومة عليهم ، والحكومة تمنحهم ما يشاءون من الأراضي والخدمات ، وتعطيهم حرية التنقل دون قيد أو مراقبة .. ويؤسفنا أن نؤكد أن أكثرهم يهود أمريكيون يقومون بخدمة إسرائيل وجمع المعلومات لها حتى الذين ليسوا

يهوداً من موظفى النقطة الرابعة ، يقومون بأعمال الجاسوسية المنظمة لحكومتهم ، فهم رسل مقنعون للاستعمار الأمريكى فى البلاد العربية ...

٦ – مناورات الإنجليز :

فى الوقت الذى يشتد فيه الخطر على الأردن ، وتحتشد فيه القوى الإسرائيلية على حدوده ، وفى الوقت الذى يظن معه أنصار التحالف مع بريطانيا أن المعاهدة الأردنية ستنقذ الأردن من كل عدوان يهودى .. يدلى المستر إيدن بتصريح يقول فيه : إن هذه المعاهدة لا تتطلب من بريطانيا أى عمل فى الوقت الحاضر ... لأن ارتباط بريطانيا بمساعدة الأردن وفق نصوص هذه المعاهدة خاضع لواجب الطرفين المتنازعين فى أن يجدا حلا سلمياً لمنازعاتهما كما يخضع لارتباطات بريطانيا بميثاق الأمم المتحدة ... والواقع أن هذا التصريح لا يزيد عن أن يكون مناورة مفضوحة من جانب الإنجليز . . فهم يتظاهرون بأنهم لا يريدون التدخل حتى يأتى تدخلهم فيما بعد نتيجة استغاثتنا بهم نحن العرب هناك والتجائنا إليهم كمنقذين محررين مثل ما فعلوا فى حوادث العدوان الفرنسى . . ولعل من المضحك أن يصرح إيدن ذلك التصريح . . فى الوقت الذى يقوم فيه كلوب باشا قائد الجيش الأردنى بزيارة الخطوط الأمامية ويتحدث فى زيارته إلى السكان عن ضعف العرب وقوة اليهود وعجز الجيش الأردنى عن أن يهاجم اليهود أو يقف فى وجه عدوانهم . .

٧ – مسئولية أمريكا فى العدوان اليهودى :

لست أريد الخوض فى مسئولية أمريكا عن قيام إسرائيل فى قلب الوطن العربى ، فذلك مما جعلناه من دروسنا لأبنائنا كيلا ينسوا قصة هذه المأساة يوماً ما . ولكنى أريد أن أتحدث عن مسئولية أمريكا فى هذه الحوادث العدوانية المتكررة من جانب اليهود نحو الأردن ومصر وسوريا ولبنان . . وهى مسئولية لا نشك فيها ؛ فالمساعدات الأمريكية من قروض وسلاح وتجارة وأموال ، هى التى تمد فى نفس الاعتداء اليهودى وتقويه يوماً بعد يوم ، ولو أوقفت أمريكا مساعداتها لإسرائيل لما تحركت بالعدوان ، لأن الميت لا يتحرك ، وإسرائيل ميتة يوم تقطع عنها الإمدادات والمعونات . . ومن المؤسف أن أمريكا لا تزال تطمع فى صداقتنا وتبتسم لنا بوقاحة القاتل الذى يبتسم لصرعاه ويده ملوثة بالدماء ...

٨ – موقف الجامعة العربية :

إن هذه الجامعة تستطيع أن تكون أداة إنقاذ وتحرير ، يوم يتمثل قادتها بؤس جماهيرنا وشقاءهم ودموعهم وأحزانهم . . ولكنهم حتى الآن لم يفعلوا . . إن واجب الجامعة أن تقرر دولها ورؤساؤها الامتناع عن كل مظاهر الترف فى ميزانياتها والسخاء على تسليح اللاجئين وسكان فلسطين العربية ، وجعل الحرس الوطنى قوة شعبية مسلحة تدرء العدوان المفاجىء والقيام بمشاريع الإعمار والتصنيع فى القرى الأمامية حتى يطمئن سكانها إلى موارد رزقهم ، هذا بعض واجبات الجامعة بالنظر لحوادث العدوان المتكررة ... أما واجبها تجاه قضية فلسطين ، وما ينبغى أن تعمله لاسترداد الفردوس المفقود ، فهى تعلمه ولا تحتاج إلى من يذكرها به .

٩ — واجب الشعوب العربية والإسلامية :

لست متشائما ولا مهدما للأعصاب ولا عاملا على بث الذعر والخوف فى نفوس الجماهير ، حين أعلن صيحة الخطر القريب والكارثة المرتقبة . . يجب أن يعلم سكان دمشق وبيروت والقاهرة وبغداد والرياض أنهم إن ظلوا على ماهم عليه من برودة الشعور إزاء الحوادث الأخيرة فقد يفيقون يوما على كتائب العدو تطرق أبواب حدودهم وعواصمهم . . إن على الجماهير أن تتحرك.. لا لتقول لحكوماتها اعملى . . فحسب . . ولكن لتقول لنفسها أيضاً ، اعملى . . تستطيع الجماهير أن تعمل على درء الكارثة بإجبار حكوماتها على العمل ، وببذلها من الأموال والسلاح والعتاد والإباس لسكان فلسطين العربية ما يجعلهم قادرين بأنفسهم على حل المشكلة كلها . . إن أهل فلسطين لا يريدون منا اليوم أن نموت بدلا عنهم . . إنهم مستعدون للموت . . على أن يكون موتهم كريما فى ميدان النضال ، لا ذليلا تحت سنابك الخيول ووطء النعال . .

إن من واجبنا أن نذكر دائما أن الكارثة إن وقعت اليوم بمن فى الخط الأول فستقم بنا نحن الذين فى الخط الثانى . .

أيتها الجماهير . . تحركى واعملى . .



انظر أخبار المؤتمر الإسلامى المسيحى والتعليق عليها فى العدد التالى

Let us also cite the punishment for adultery. There are many who fear that if the Islamic law was applied, tens of thousands would have to suffer the prescribed flogging on account of the offense of adultery.

But Islam is not this. Adultery is being committed on such an appalling scale today because such adulterous persons are the product of a degenerate social order alien to the spirit of Islam. Islam is an indivisible whole, and it is indispensible to establish first of all a sound Islamic society before carrying out the penal provisions concerning such violations. We have already said that Islam provides assistance for those desiring marriage and are unable financially to do so, Thus it removes an impediment in the way of legitimately satisfying this human instinct. We now add that Islam creates a decent order in which character and moral considerations are given a pride of place. Moreovsr, it forbids such sensual-inducing practices as strong drinks, nakedness, immoral films, songs and so forth.

In addition, Islam permits polygamy under certain conditions provided absolute justice is observed. It also permits divorce to those whose marriage reaches an irreconcilable impasse. These are designed as a substitute for illicit extramarital intercourse as occurs in non-Islamic societies.

In addition to all the aforementioned, we must add that punishment is in reality intended as a preventive rather than as a punitive measure, because the proof of guilt is most difficult, requiring as it does the testimony of four eyewitnesses of the said crime. Such testimony is normally unobtainable. At any rate, the severity of the punishment is an efficacious preventive of the offense.

* * *

Some also raise the prohibition of usury and the question of minorities under Islamic rule.

There is doubt that Islam categorically and unconditionally prohibits usury. Its aim has been to safeguard humankind from the bitter fruits of a system based upon usury as is the economic structure which has been in existence over the past five centuries cince the advent of the capitalist age.

The usury system was counter to the concept of social cohesion upon which Islam is based. Money may be invested in production either individually or through stock-holding companies. The surplus may be loaned freely for consumption or for investment. This is compatible with the concept of social cohesion.

(*to be continued*)

Facts About

THE MUSLIM BROTHERHOOD

(3)

(4) Clarification of Confusion

Those who are not well-versed in the realities of Islam pay their entire attention to penal provisions and sanctions and ascribe an importance to them beyond what is actually accorded them in Islam. It would be well to dwell upon some of these points. and let us cite fo example the punishment meted out for theft :

There are many who fear that if the Islam system was applied we would wake up to find tens of thousands of hands chopped off on account of theft !

But Islam is not what these people conceive it to be. We have already enumerated the economic guarantees for all its citizens, Muslim as well as non-Muslim. We would now add that the individual to whom the state does not provide these guarantees and to whom the community denies these necessities, is entitled according to Islam to unsheath the sword in the face of those who deny him these primary necessities and empowers him to fight for them. If after his needs are satisfied he resorts to theft endangering thereby the properties and the security of the community, we believe that it is consonant with justice if Islam decreed that his hand be chopped off. But if he commits his theft under the compulsion of hunger or any other dire need, then the sanction would not be meted out to him according to Islamic jurisprudence and judicial precedents. Therfore, there need be no fear that thousands, hundreds, or tens of hands would be cut off. Habitual thiefs are few if not rare.

We should not forget that Islam has not committed the mistake of modern codes in harrassing and ostracizing the thief, even after he had served his sentence, thereby turning him into a habitual thief. Islam opens the doors wide for his repentance and rehabilitation and enables him to earn his living in an honorable manner. Moreover, Islam assumes responsibility for the maintenance of the thief's wife and children and does not abandon them to their fate as is the case in some of the modern codes.

"Save him who repenteth and believeth and doth righteous work; as for such, Allah will change their evil deeds to good deeds. Allah is ever forgiving Merciful."

Religious Minded Is Not Enough

And do not think, brother, that Islam can be taken as a doctrine theory adopted in discussions, pleaded in meetings and declared in slogans. No, Islam has never been a mere philosophy. "Islam" in Arabic means submission; and submission can never be simply theoretical or doctrinal. To be real submission it must express itself through practical obedience. God says;

بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ .

"Nay, whosoever submits his wholeself to God and is a doer of good, he will get his reward with his Lord".

And that is why the early Muslims were victorious wherever they went while we are being exploited wherever you look. To be religious minded is not enough. Be a Muslim in every word and act, and keep in mind that God values but heart and deeds.

Start, my dear, and do not hesitate. Open your chest to imbibe the real dignity of man, and despise all evil, howsoever attractive or honoured it might be. If others call you "backward" say, "If backwardness means Godliness, cleanliness and a pure outlook towards life, I am happy to be backward." And remember here what our Prophet - peace be upon him - has said;

بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ .

"Islam started as a stranger, and a day will come when it shall become again a strager. God's mercy for the strangers".

(to be continued)

WHAT ARE YOU ?

By the Editor

— 5 —

Decision

Can I expect, dear brother, from both my soul and yours that we have already decided to try to unbind this deep knot in our souls and make a step towards the eternal reality ? Let us practise it. Let us start. Do not hesitate. It is said that the most lovable act for the devil is the postponement of a believer's repentance. Do not postpone your repentance. Knock at God's door with a heart realizing its sins, anxious to contact Him and determined enough to suffer for His sake. Do not think that, straightforwardness is something bitter or impossible. No, relation with God can never be bitter. If some find sweetness in a glass of wine, or a prohibited look or act, there are others who taste another kind of sweetness, blissfully true and eternal, in leaving that glass, lowering their gaze and in sticking to the right conduct. They feel an inward happiness when they offer their ablution in the cold night and forsake their beds to pray secretly while others are enjoying a fine slumber. Which sweetness do you prefer: that of the one who sleeps at night with the devil dancing on his head, or this of the one who goes to bed with the angels blessing his soul ? How different they are from each other ! God says :

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟

"Shall we, then, treat the people of faith like the people of sin ? What is the matter with you ? How judge ye ?"

Try to taste the second sweetness. It seems hard, but God will help. It is not impossible as long as God is Merciful. Whatever sins you have committed, God shall forgive them if only your repentance is sincere. Not only this, but God says :

إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً .

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات هذا العـــدد

صفحة

مطابع دار الكتاب العربى بمصر